

صاحب المجلة ومديرها .
ورئيس تحريرها المنقول
أحمد حسن الزيات
الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
القاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقثاً

بدل الاشتراك
—
٢٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث ، القاهرة لي يوم الأربعاء ٢٠ شوال ١٣٥١ — ١٥ فبراير ١٩٣٣ ، السنة الأولى

بين السوا أمر والصحف

الرسالة ونحوها :

خرجت الرسالة الى قرائها على الحال التي سمحت بها صعوبة البدء وأثالة العمل ، فاستقبلوها استقبالا مازع في الظن ولا تعلق به الأمل . ولا يزال البريد يحمل إلينا كل يوم رسائل الاصدقاء والقراء تفيض بحسن الظن ، وجمال العطف ، وكرم التعضيد ، ومحض الصبغة . ومن هذه الرسائل الكريمة ما يستحق النشر لدقة ملاحظته ، وأورقة أدبه . أو سداد رأيه ؛ ولكن دوراته على الثناء والتعريض يحمل في نشره انهماكاً لخلق الرسالة .

وقلنا نجد أنبل عاطفة من رجل يعني بعملك لذاته ، ثم يحذل نفسه ووقته جهد الكتابة إليك صفحات في تأييده وقدره ، ثم لا يريد بعد ذلك ان يروح لك باسمه !!

فهرس العدد

- ٢ يد السامر والصحف
- ٣ العلم والأدب للاستاذ احمد أمين
- ٤ حظ الأدب في مصر للاستاذ عبدالعزیز البشري
- ٥ أثر الثقافة العربية في قديم والحالم للرباب
- ٦ قلعة شونبور للاستاذ ذكي نجيب محمود
- ٧ لجافا زيجت فرتز فزريت
- ٨ كسوف على الشمس للاستاذ عبدالجيد سباحه
- ٩ المراميل المثرثرة في الأدب
- ١٠ فطرو في اتحاد للاستاذ جميل مدني الزهاوي
- ١١ مرآة الحجاب للدكتور محمد غرض
- ١٢ انصار ليل محمود طه المهندس
- ١٣ الادب الفارسي والادب العربي للدكتور عزام
- ١٤ الخلاص للاستاذ عبد السبح وزير
- ١٥ الغيرة المحجورة للبشري
- ١٦ غيبة غلة للاستاذ احمد أمين
- ١٧ بيت الراعي ترجمة محمد عبد الحميد مندور
- ١٨ علي فاش السيرة للدكتور طه حسين
- ١٩ الرجل صاحب الكلب للاستاذ محمود تيمور
- ٢٠ زبد أن تعب للاستاذ أنور شادول
- ٢١ دقة ال ديوطورينا للاستاذ القدراني محمد
- ٢٢ لانتيري وسكوتيون للدكتور طه حسين
- ٢٣ الكتب . عن الاسلام — ١٥ التل لسان

يشترك في تحرير المجلة

الدكتور طه حسين

وأعضاء لجنة القابض والمترجمة والنشر

طبعة بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المنيغ بالقاهرة

قال هؤلاء تتقدم الرسالة بموفور الشكر على ما يرجون لها من خير ، وما ينيطون بها من ثقة ، وتسال الله أن يؤكد لها أسباب التوفيق حتى تتحقق الظنون وتصدق الآمان .

آراء القراء :

من الكرام الكاتبين من يطلب الى الرسالة المزيد في التعمق والافاضة ، ومن يرغب في شيء من الفكاهة والبساطة ، ورأي الأولين ان تقصر على أدب الخاصة ، ورأي الآخرين أن تستدرج ذوق العامة ، والرسالة ترجحان توفيق بين الرأيين ، بأن تتخذ طريقها بين بين ، ثم تنشر الحين بعد الحين اعداداً خاصة بما تجمع لديها من البحوث المتفيزة والدراسات العميقة والقصص الصافية .

لأنفيل طرأية :

للاستاذ محمد بك مسعود أثر جميل على الثقافة العامة منذ طویل .

وعهد القراء بأسلوبه سائق المورد مأثور اللفظ فيما نشر من صحف وألف من كتب . ولكنه منذ توفر على محاكاة الأستاذ وحيد في تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروية في مجيئ التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أعراض الغرامة التي تلازم اللغويين ، والاعتداد الذي يماور العلماء .

ولا نحب أن نعرض لهذه الروح المنتفة في المناظرة (الطرطوشية) وأمثالها . فاتها بين عالين جليلين لا يجهلان أن المني يفسد العلم . وأن شهوة التغلب تظلم الحقيقة ، أعما نرغب إلى الأستاذ مسعود أن يوافقنا على أن حياة اللغة في أحياء اللفظ الذي لا نظيره في مألوف الكلام ، أما استبدال صيغة مهجورة بصيغة مشهورة كاستعمال اشاعيل بدل شواغل ، وطراثة بدل طاوثة ، وصروحا مكان صراحة ، وقدورة في موضع قدرة ، ومشيخوا بدل ما من شيوخ ، فأحياء شر من الموت ، ويان اغمض من المي ١١

تجدي والتقليد :

صديقنا المراءى على تجديده ينكر التجديد ، ويرغم أن كلمتي قديم وجديد ينقصهما التجديد ، وكنت أحب أن أكون بجانبه حين قرأ في الاهرام (ثلاث شاعر) لصديقه وزبيلة الأستاذ نسيم ، اذن لاخذت اعترافه بأن في الشعر جديداً وقديماً ، وان الخطيئة قديسي عبدالمطلب وقد يسمى نسيماً . والآ فالي من كان ينسب هذا الشعر لو لم ينسب تحت اسم صاحبه ؟ وما زعزعتني الحادثات كشأن رسا بهضاب فوقه واكام ولله مرنان رددت سهامها وقابلها من جمعتي سهام فقدت صديقي اللذين تروا من الشعر أعلى ذروة وسنام واصبحت في جبل ناني ودم وساء ثوابي بينهم ومقامي وليس لهم غيري اذا جدجدم وخطب الزا يا حو لهم مترام ولوشئت كانت لي زعامة شعرهم وكنت لمن يأتهم خير امام شوارد تزري بالخطيئة هاجبا وتعي جريرا في مدح هشام له الحمد ثم الحمد فاذر شارق وما در غم يارق برهام وما ذرعت بطحا مكة ايتق تمن بلورام لها وبهام وماشدت الا كوارفوق متوها وقيدت بشزر محصد وزمام وبعد فان الشاعر الذي يجعل الشعر جبلا وجلا ويتخيل الهضاب والاكام والجباب والسهام والاروام والهام ، ويذكر بطحا، مكة واكوار التوق وهو في رياض الجزيرة وعلى ضفاف النيل ، ويرغم انه موئل قوم وليس من الزعامة في كثير ولا قليل : لا يسوغ في العدل الادبي أن يقيد على حساب هذا الجبل : إن تعدد الاساليب في العصر الواحد أثر طبعي لا اختلاف

العوامل المزروعة في كل شاعر : ولكن الاسلوب الذي لا يسجم مع أمور الحياة : ولا يتصل بشعور الاحياء . لا يدخل في هذه الاساليب ، ولا يدل وجوده على شاعر ولا أديب

الفن والفن

كتب الأستاذ ابراهيم المصري تصلات في البلاغ عن أدباء الشباب وأدباء الجيل الماضي ، نعى فيه على هؤلاء استنارهم بالمجد واحتكارهم للشهرة وانكارهم في سبيل ذلك جهود الشباب . وحتى أن يكون ذلك الاستنار المضرب بالأدب الشاب غرقا من انهمز أدب انتشر لخلو الميدان ، واشتهر بطول الاعلان . فلا يخلد بطبعه للتناقص والتقد . وقال ان شيوخ الكتاب في الغرب لا خلاصهم لرسالتهم الادبية وثقتهم بملكاتهم الفنية . يمددون خطي التبوع النائي . ويرفعون ذكر الشباب الموهوب ، ويمددون السيل خلافة الجيل الحاضر ، ثم يهيب بالعرائض الفنية ان تملن الحرب المشروعة على هؤلاء القادة الذين كسبوا هذه العناوين من غير جهد ، ونالوا هذه النياشين من غير حرب . والرسالة تقر الأستاذ المصري على رأيه وترى من الجناية على الأدب ان تطحن أبرة السكول على هذا الطرح ، وان تكون الهيمنة على الصحافة وسيلة الى كبت هذا الروح ، وتعلن انها بطبيعتها ومبدئها ستكون ملحق الوثام بين الجيلين ، وسفير السلام بين الفريقين المراءى مع الق العربية

ينام صديقنا المصري والزهاوى ملء الجفون في قصرهما المتقابلين على طريق الاعظمية ولا يلمان انهما اقضاض مضع وزارة المعارف المصرية ليلة : فقد روت الصحف المحلية أن الاستاذين الكبيرين جميل صدقي الزهاوى وساطع بك المصري رفضا ترشيحهما لعضوية المراسلة للمجمع وجرى في خلال ذلك ذكر لجنة التأليف والترجمة ، نظمت السياسة أن هذا الترشيح كان اقتراحا من لجنة التأليف والترجمة التابعة للمجمع ، واذن يكون هذا الرفض تسفيا للوزارة من جهة ، ودليلا على اغراض البلاد العربية عن المجمع من جهة أخرى فأخذ الوزارة من مقال السياسة المقيم المقعد . واصدرت بلاغا رسميا تكذب فيه أن يكون منها عرض ، ومن الاديين رفض . ووجه الوفاق بين المعارف والسياسة أن لجنة التأليف والترجمة هذه ليست تابعة للمعارف المصرية وانما هي لجنة من لجان المعارف المراقبة . تنظر في تأليف الكتب العربية وتقرر المؤلفات العربية أما كيف دخل في اختصاصها ترشيح الاعضاء . فذلك أمر تسأل عنه وزارة (الوزراء)

سائح الألفان

الأدب والعلم

للأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

مرت كلمة الأدب والعلم في اللغة العربية في أدوار عدة ، استعملوا كلمة الأدب أحياناً فيما يرق الخلق ويهذب النفس واستعملوها أحياناً بمعنى أوسع حتى عنوا أنفسهم شعر لحرير والغزديق والاخلط أدباء ، وعنوا خريجات أنى نواس وغلبانياته أدباء كما يعد الفنان بعض الصور فناً وأن كانت صورة لوضع مستحسن أو فعل فاضح ، وكذلك الشأن في كلمة العلم ، كانوا أحياناً لا يستعملونها إلا في العلم الدينى ، ثم توسعوا في معناها حتى شمل كل ما ينتج العقل والفن . وفي المصور الحديثة فرقوا بين الأدب والعلم وسموا الكل دائرة ، ومن ثم كانت الصحيفة أو المجلة أحياناً أدبية ، وأحياناً علمية ، وأحياناً أدبية علمية ، وأصبح من المضحك أن تقول علم الأدب لأن العلم غير الأدب ، وأصبح لدينا من يسمى أدبياً ، فلا يكون عالماً بعلومه فلا يكون أدبياً ، وقد يكون أدبياً عالماً ولكن كلمة ، عالم ، الأزهرية إنما اشتقت من العلم بالمعنى الواسع الذى يشمل الأدب والعلم معاً .

وبعد فما الفرق بين العلم والأدب ، وما الذى يجعل الأدب أدباً والعلم علماً ؟

الحق أن كلمة الأدب والعلم من الألفاظ العامة التى تفهمها نوعاً من الفهم فإذا أردنا تعديلها حرناً في أمرها ، كالجمال والعدل والخيال والحرية والعبودية ، وإذا سألتنا - حتى الخاصة - في معناها أجاب كل حسب ميوله وأغراضه وحسب طبيعة فهمه للكلمة .

هناك أشياء لا نشك في أنها علم أو أدب ، فلو سئلت عن نظريات الهندسة وقانون اللوغاريتمات وقوانين الحساب والطبيخ والكيمياء فذلك علم بالبداهة ، وإذا سئلت عن قصائد بشار وأبى نواس والمنى ومقامات الحريري فذلك أدب لا علم ، ولكن ما حدود الأدب وما حدود العلم ؟

قد عرودتنا الطبيعة أن الاضداد تفهم ما تباعدت ، فإذا ما تقاربت حدودها صعب فهمها ، ما أسهل ما تقول أن هذا ظل وهذا شمس ، ولكن عند تقارب الظل من الشمس تجد خطوطاً يصعب أن تقول أمى ظل أم شمس ، وما أسهل ما تقول أن هذا الماء حار أو بارد إذا اشتدت حرارته وبرودته ولكن ما أصعب ذلك إذا أخذ الحار يبرد والبارد يسخن فأنك تصل لا محالة إلى درجة يمسر عليك الحكم فيها بالحرارة أو البرودة .

أكبر ظاهرة في التفرق بين الأدب والعلم أن الأدب يخاطب العاطفة ، والعلم يخاطب العقل ، فإذا قلت أن زوايا المثلث تسامى فأتبين فأنك تخاطب العقل ولا تمس العاطفة ، وإذا قال المنى : خلقت ألوفاً لرحلت إلى الصبا - لفارقت شبيبي مرجع القلب يا كيا فهو يمس العاطفة أولاً ، ومن أجل هذا كانت المجلة الأولى علماً وبيت المنى أدباً .

العالم يلاحظ الأشياء يستكشف ظواهرها وقوانينها وعلاقاتها بأشغالها وما يحيط بها ، على حين أن الأدب لا ينظر إليها إلا من حيث أثرها في عواطفه وعواطف الناس ، ينظر النبات إلى شجرة الورد فيدرس كل جزء منها والتغيرات التى تطرأ عليها من وقت يذرها إلى وقت فاتها ، ومن أية فصيلة هى ، وما علاقتها بالفصائل التى تقرب منها ، أما الأدب فينظر إلى أجرام الشجرة منفقة متاسبة ويرى أنها لم تخلق إلا لزهرتها الجميلة ، وأن بين الزهرة وقلب نسا ، يعجب بحمرة لونها على خضرة أوراقها ويذهب خياله في ذلك كل مذهب أما النبات فيبحث لم كانت الزهرة حرماً وأوراقها خضراء ، عالم الحياة لا يرى في الفتاة المحبوبة إلا إنساناً خاصاً لكل أبحاث البيولوجيا أما الأدب فيرى في عبوته شيئاً وراء كل ما يبحث عنه العالم من ، الحياة وهى الدنيا وهى البهيم إذا وصلت والبؤس إذا صعدت ، أو يقول مع القائل :

ويلا ان نظرتى وأنى أعرضت وقع السهام وتزعجن أليم فالكلام إذا لم يثر عاطفة لم يكن أدباً فإذا هو يخاطب العقل وحده كان علماً ، وإذا أمن في إثارة العاطفة كان أمعن في الأدب ، وليس الأدب وحده مولفة العاطفة فقد تنفقه في هذا الموسيقى وفى فائدة على أن تضحك وتبكي ، وترى وتحزن ، وترى سروداً حزينة ،

ويعجزون حزنا ساروا وتولم ألما لذيذا ، ولقد لذة أليمة ، وتثير الشجاعة حتى لتدفع إلى الموت ، وتنتج الحسول حتى لتدعو إلى النوم ، تغدو المرسى أن تغدو كل ذلك في العاطفة ، وهي أقصر من الأدب لأن الأدب يخاطب العاطفة بواسطة الكلام ومن طريقه أما الموسيقى فتخاطب العاطفة وجها لوجه من غير وسيط ، تؤثر فيك أدوار المود والقانون والياس ولو لم تصحب بكلام ولو لم تفهم أى معنى منها ، بل قد تذكره أن تفهم إلا النغم وحلاوته والتوقع وعذوبته . أما الأدب فلما اعتمد على الكلام والكلام إنما يفهم بالعقل ، كان لابد للقطعة الأدبية من قدر من العقل ومن المعاني لتستاربها العاطفة وتبهج بها الشاعر .

ولارتباط العاطفة بالأدب هو الذى منح الأدب — لا العلم — الخلود ، فالنتاج الأدبى خالد أبدي لا التاج العلى ، ضائع دمارى . الفيس والتأنيب وجريز والفرزدق وشار وأبى نواس والمنثى كلها خالدة تقرأها فتد منها كما يلد منها من كان في عصرهم ، فإن أحتاج إلى شيء فتفسير ما غمض من الألفاظ والمعاني ، وهو يعد يشعر بشعورهم ويسر كسرورهم . ثم القطعة الأدبية لا تمل ، تقرأها ثم تقرأها تفسر منها في الثانية سرورك منها في الأولى ، بل تحفظها ثم تتعشق تلاوتها وتكرارها ، وليس ذلك هو الشأن في العلم فحقائق العلوم خالدة ولكن منتجات العلوم غير خالدة فإني كتاب أقليس من نظريات هندسية خالدة ولكن الكتاب لا يقرؤه الآن إلا من أراد أن يرجع إلى تاريخ الهندسة ، وكل كتاب في الهندسة يموت بمرور سنين عليه ولا تعود له قيمة إلا القيمة التاريخية مهما حوى من نظريات جديدة وتورتيف جديد ، وكذلك كتب الحساب والجبر والطبيعة والكيمياء والفلك ليست خالدة وإن كانت الحقائق التي فيها خالدة ، بل الطبعة الثانية من هذه الكتب تفضى على الطبعة الأولى بالفاء إذا دخلها تفسير ، وليس طالب علم الآن يرجع إلى ما ألف من خمسين عاما إلا إذا أراد أن يورخ العلم ولكن طالب الأدب يرجع إلى ديوان المتنبي الآن ليتنوق أدبه ويذو مشاعره كما كان ذلك منذ ألف عام وقد حفظت بعض قصائده ولا تزال أستمتع بقراءتها ولكن إن أنت قرأت كتابا في الرياضة وفهمته ما فيه لا تستطيع بحال أن تعيد قراءته إلا على مضض .

والسبب في هذا — على ما يظهر — أن عواطف الناس لم تتقدم كما تقدمت عقولهم ، تدنو عواطفنا شكلا فتدنى أن الاحسان إلى الفقير بأعطائه درهما ليس خيرا ولكن خيرا منه بناء مستشفى وإنشاء ملجأ ونحو ذلك ولكن العاطفة هي من أساسها تود ترفى عاطفة الخوا الأبرى فلا ترى ما لنا من دفع الأولاد إلى حرب الحياة

وجرب الاضطرار ولكن العاطفة في أساسها واحدة . أما العقل فوثاق دائما وواق أساقى الشكل وفي الأساس يرى حلالا اليوم ما كان حراما بالأمس ويرى حراما الآن ما كان باطلا من قبل ويعتزع كل يوم جديدا وصوغ حياته وفق الجديد . ومن أجل ذلك لا يلذنه أن يقرأ عن السابقين إلا كما يقرأ تاريخهم ولكن عواطفه هي من ركزت ونفت فتدنى اليوم بما يمل عواطف الأقدمين وإن كرت عليها الدهور وتواتت العصور ، وليس الأمر بهذا القدر من السهولة في الفصل بين الأدب والعلم . هناك أنواع يصعب الفصل فيها حتى على الخاصة أدب هي أم علم ، هناك أدب ، معلم ، وهناك علم ، مؤدب ، هناك تاريخ صبح صياغة أدبية فلا يكتفى بسرد الحقائق وتعيين زمن وغرعا وإنما يوضح ذلك في قالب يثير شعورك للاحتفاء والقذوة أو للحب أو للكراهة . وهناك فلسفة صيغت في قالب قصة . وهناك طيبة وكيمياء صاغتها يد صناع ماهرة في الفن تحمل قلم أديب فأخرجت منها موضوعات شيقة تثير عاطفة الجنال وتخرج الأعجاب بما في هذا العالم من ابتداع وفن .

هذه الموضوعات وأمثالها ليست أدبا خالصا ولا علما خالصا وإنما هي علم أدبى أو أدب علمى هي أدب بمقدار ما تثير من عاطفة وهي علم بمقدار ما فيها من حقائق .

العلم لغة العقل ، والأدب لغة العاطفة ولكن لا بد في هذه الحياة أن يلفظ العلم بالأدب ، والأدب بالعلم ، فالعقل إذا جرح استخف بالشعور وجعل الحياة ثمتا للعلم ، وهو إذا مزج بشيء من الأدب من الحياة ورفه على الناس ، والعاطفة إذا شردت كانت ثورا نارا وهياجا . ألا ترى التعجب يزيد فيكون نباحا ، والشق يوم فيكون جنونا ؟

أحمد امين

ضحى الاسلام

هو الجزء الثاني لتبصر الاسلام

بحث في الحياة العقلية للبصر العاسى الاول

تأليف

الاستاذ أحمد امين

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشيرة وثمته عشرون قرشا

حظ الاديب في مصر

للأستاذ عبد العزيز البشري

أما النثر ، وأعني النثر الفني بالضرورة ، فكان أشد نسوة وأبلغ نزاهة ؛ كلام لا يكاد يجرى لغرض أو يستشرف الى غاية ؛ إنما هو السجع يلزم فيه كله فترى فيه السخن والبارد ، والحلو والحامض ، لم يكن من شأن هذا المقال أن يعرض للاسباب التي بعث هذا الاديب القوي العالي الذي نذوقه اليوم ، فذلك مبسوط في كتب تاريخ الادب العربي . وإنما عقدنا هذا الكلام ليراد موجز من تاريخ التكسب بالادب عندنا في العصر الحديث كما ذكرنا في صدر هذا المقال .

لقد كان التكسب بالشعر ، في الجملة ، من طريق واحدة ، هي ان طائفة من يتكفون نظم الكلام كانت الحاجة تبشهم الى أن يرتضوا لحكام البلاد وأعيانها وموسريها حتى اذا دخلت على أحدهم نعمة من أي لون كانت أو مات له ولد أو نسيب باعروا بأزجاء التثنيات يموهون حروفها بما الذهب ، أو المراني يحللون رقاعها بالسواد ، ولا يزالون يحتفلون اليه في طلب العطية . وقد لا يظفرون ، في النهاية ، الا بتسريح بنير احسان . ولقد أساء هؤلاء الى الادب اساءة بالغة بحيث نشأت ناشئة الجيل الماضي وهي لا تكاد ترقى في الادب الا الكدبة ، ولا في الادب الا أنه شحاذ !

أما التكسب بالنثر فكان له طريق آخر أصبح من ذاك وأخرى . وذلك باصدار صحف صغيرة صغيرة لقد تظاهر مرة في الاسبوع أو في الشهر أو في نصف العام . ومادة كتبها في الواقع من تخريف ضعاف النفوس بشهرهم وطلب بمعايهم والتدسس الى مكارهم إلا أن اشتروا أعراضهم ، فان فعلوا والا فلا سهم الجبل ، ولقد انتهى ، والحمد لله ، هذان الضربان من التكسب بالادب ولم يبق لهما في بلادنا ، على ما أرى ، من أثر . ولعل ذلك يرجع الى تغير فهم الناس لمعنى الادب ، وارتفاعهم به على ذلك الموان ، والى انتشار الثقافة بوجه عام ، والى خشية سطوة القانون بوجه خاص .

وليس معنى هذا أنه لم يكن هنالك أدب ولا أدباء ، بل كان الشراء وكان خيار الكتاب ، الا أنه لم يكن يتكسب أحد من هؤلاء . (ما عدا الصحفيين المحترفين) بصناعة القلم .

نعم كانت الصحافة عنماها الصحيح ، ولا زالت مهنة كريمة نيلة تجدى على أصحابها وعلى المشتغلين بها ما يوسون به على شملهم ، بل ما قد يتنهم ويضيف اليهم الثروات الضخام . أما هواة البيان ، على حد التعبير الحديث ، فلم يكن لهم من هذه الجدوى نصيب .

ثم كانت (الجريدة) وقام على شأنها استاذنا العلامة الكبير أحمد لطفى السيد بك ، فرأى أن يدعو نفراً من كبار العلماء

خاص بعض أفاضل الكتاب في هذا الحديث فتظاهروا على أن الادب لا يجدى في مصر على أهله ، وإن هو أجدى بعض الاحيان حتى شح وتقتير ، إذ هو في بلاد الغرب يعود بالنقى والثراء ، وقد يعود بأوسع النقى وأضخم الثراء . وراحوا يشتبون مذاهب الملل والاسباب لهذه الحال : ومن بين هذه الاسباب قلة عدد المتعلمين في البلاد . وفتر هؤلاء عن اقتناء كتب العلم والادب ، وخاصة اذا استخرجت منهم أثمانها . وانتشار الادب الرخيص تنفض به بعض الجملات الاسبوعية فيقبل عليه الشباب من المتعلمين ومن لا يزالون في طريق التعلم مطاوعة للشهرة ، ولانه لا يحتاج الى كد ولا مطالعة . وكذلك اضافوا الامر الى اثره الناشئين وانتلاهم حاجة الادباء وضعف وسائل هؤلاء الى القيام بنشر آثارهم بأنفسهم . ثم الى عدم عناية القادرين ، من أي صنف كانوا ، بالادب الرفيع يذكونه بألوان المعرفة والتشجيع .

وكل هذه الاسباب لا تعدو في رأي الحق الواقع في كثير ولا قليل . وعمل ذلك لم أدفع القلم اليوم لمناقشتها والتدسس سواها ، وإنما لأسرد تاريخاً موجزاً لصلة الادب بالمسألة في بلادنا ابتداء من الجيل الذي شهدنا طرفة الى غاية هذا الجيل الذي نعيش فيه .

كان الادب من يضع وتحمين سنة مجرد حلية وزينة يتكلفه المتأدبون إما للفاكهة والتعابث والتظرف . وإما للترقى طلباً للتكتم من المنصب أو الخطوة عند أولى الامر ، أو استخراجاً للاحسان .

لم يكن الادب ، في الجملة ، ان يطلب غرضاً سامياً سواء من امتناع النفس باطلاعها على ما في الكون من قسوة وحال ، أو معالجة القضايا العامة وملازمة الاسباب الدائرة بين الناس . فكان الشعر في الجملة أيضاً ، يدور في المذاهب التي سلكها العرب الأقدمون من مدح وهجاء ، وفخر وغزل ورناء ؛ على أنه ، حتى في هذه الأغراض المثيلة لم يكن أكثره على شيء من الخطر سواء في سمو المعاني أو في قوة الأداء . بل كان ضللاً ضعيفاً متزائلاً الاجزاء . وكيف يشعر لا يريد على أنه تقصير دأوس إنما أول شعراء المهدي العثماني : التماس للحنات البدئية من جناس ونورية واستخدام ، بالغة ما بلغت المعاني وواقفاً ما وقع نظم الكلام .

والكتاب الى تنذية الجريدة من وقت لآخر بالمقالات المتخيرة المتقاة في مختلف أساليب الحياة ، واجتعل لهم على ذلك الجمالات. ولعله في ذلك كان متبها سنة الصحافة في بلاد الغرب .

على أنه لما اشتدت قوة الصحافة في مصر وعظم انتشارها بحكم اطراد الحضارة وكثرة المتعلمين ، وازدياد تنوع الجبهة للأسباب العامة وشدة اهتمامها بها - اضطرت - كبريات الصحف ، بنوع خاص ، الى العناية بتجويد تحريرها ، واغوار مادتها ، حتى لقد جردت بعض صفحاتها لطريف البحوث في شتى العلوم والفنون ، ووفرت أنها أضعفت وظائف محرريها أضعافا . فقد جعلت كذلك توجب الكاتبين فيها من غير محرريها مما لم يكن يحلم به أحد من عشر سنوات خلت .

هذه حقيقة للأدباء أن يتخطوا بها ، وإذا كان المدي بين حظوظهم وبين حظوظ رصفاتهم في الغرب لا يزال فيحيا ، فلم من الأمل في القريب مزيد إن شاء الله .

بقى الحديث في التكسب بالأدب من طريق نشر الكتب ودواوين الشعر . والذي شهدناه من أعقاب الجيل الماضي ولا نشهد غيره الى اليوم أن الكتب من هذه الطريق يكاد يكون مكسورا على جماعة الوراقين كما قال بحق بعض كبار الكاتبين . على أنه أرجو منه أن يأخذ في استثناء أصحاب الكتب المقررة للتدريس ، فأولئك وحدهم المحمدون ، أو الذين كانوا محمدين الى وقت قريب . لقد كان الأدب عندنا ، ولعله لا يزال عند الاكثريين الى الآن ينظم في سبط الكليات ، والكليات عند أكثر الناس ليست حقيقة بأن يخفف المرء اليها ، اللهم إلا إذا واثق غنوا ، أو بغير مشقة ولا لجيل اتفاق . فبات يدها ألا تنفق كتب الأدب حتى تعود على أصحابها بنفقات طبعها ، بله الثروة وكرائم الاموال .

أما كتب العلم ، فإن العلم يطلب في بلادنا على أن يفضى الى إحراز شهادة رسمية تقلد محررها منصبا حكوميا ، فإذا لم يكن الأمر على هذا فلا كان علم ولا كان تعليم .

هذه حقيقة واقعة أرى أن أنكارها ضرب من الغش والتدليس مشايبة لهوى الجهور ، والبياذ بالله ! لعل واحدا في كل ألف من الذين ختموا دروسهم في بلادنا هم الذين يشقون كتابا عليها لا تعمر الى شقة ساجدة المهية . نعم لعل في الألف من المتعلمين واحدا أو دون الواحد هم الذين يطلبون العلم ويراجعون مدوناته ليكملوا أنفسهم ، وليتزينوا من معارفهم ، ويفسحوا في ملكاتهم . العلم غير المضم ، يكده الذهن ويجهد النفس ، قيم مكابدة وشدة المظاولة

في تحصيله ما لم تقض تحصيله ضرورة ملحة قاسية ، من أرهاق الرولى أو الحاج الحاجة ، أو جوع الشهوة الى المنصب يمرض الجاه ، ويعز في الأهل والصحاب . وكيف تربون أن تنفق عندنا كتب العلم للعلم ؟

أما الكتب المقررة للتدريس فهي التي كانت الى وقت قريب ، تدور على أصحابها الكثير ، بل الذي يستطيعون أن يكتسبوا به أعلى مؤلفي الغرب قدرا وأبسطهم صرنا . ولا أحب أن هذا الاجتهاد كله يرجع الى فضل المؤلفين وحده وعظم تجويدهم لما يخرجون من فنون الكتب ، بل لعل شيئا من ذلك يعود الى أن هذه الكتب معروضة فرضا على العديد الاكبر من تلاميذ المدارس تشترية وزارة المعارف لهم أو تربدهم على شرائه ، وإلا خذلوا في الامتحان وأفلتت الاجازات . أو على الاصح قائم التأصيل في المناصب الحكومية ، ولا حول ولا قوة الا بالله !

الواقع أن أكثر الكتب المقررة موف على الغاية من التجويد والاحسان ، ولكنها غير مدينة في رواجها الى هذا التجويد والاحسان . بل هي مدينة في ذلك ، مع الاسف الكثير ، لأنها مفروضة على التلاميذ فرضا ، ولو قد عدل عنها ما أخرجت المكتبات عشر ما أخرج منها على أسنى تقرير . وهذه الحقيقة المرة القاسية ترىنا مبلغ حظ العلم والأدب في هذه البلاد .

ومهما يكن من شيء فإن لنا أن نعتبط ، ولورقلاء ، إذا نحن قننا حاضرا بماضينا القريب ، فين مؤلفينا من يستردون من أثمان مؤلفاتهم ما أخرجوا لطبعها ، وفيهم من فضل عليهم من الريح الكثير أو القليل . وكل الذي نرجو أن تطردهم الشبايق تحصيل العلم الصحيح ، وتجرد عزائمهم في طاب الأدب العالي . معرضين عن التماس هذا الأدب الهين الرخيص هنالك تبهت في البلاد الحياة القوية المزينة وهناك يجازى العلماء والأدباء بما يكافئه الجهد العظيم عبد العزيز البشري

مطبعة فاروق

٢٨ شارع المدايع بمصر

لا تعلن عن نفسها إلا بالعمل

أثر الثقافة العربية في العلم والعالم

بقلم أحمد حسن الزيات

٢

فرغ العرب من رسالتهم الدينية بانقضاء الفتوح، ولم يكن الأمر يستحق لهم والنظام يستقر بهم وظلال الأمن ترف عليهم حتى أخذوا يلغون العالم رسالتهم العلمية بذلك العزم الذي لا ينكسر عن خطه ولا يقف دون غاية. وكان مهبط الوحي تلك الرسالة بغداد لأنها البلد الأول الذي وفرف عليه السلام وتدفق فيه النشأ واشتد به الخلط وتجمعت لديه شتى الوسائل. ومن خير هذه الوسائل التي حققت هذا الشرف للعراق أن علماء النسطرة الذين نفوا إليه من الممالك الرومانية الشرقية لأسباب دينية، كانوا قد أنشأوا في إديسة من بين النهرين مدرسة تنشر علوم اليونان والرومان، ولما أغلقتها الأمبراطور زينون الأوزريالي لأسباب دينية أيضاً، لاذوا بأكناف بني ساسان فلقوهم لقاء جيلا، وأقام لهم أنوشروان في جنديابور مدرسة وصلت ما انقطع من تلك الحركة. وكان الأمبراطور جيتيان يومئذ قد فتح باب الجور على أساتذة المدارس الأفلاطونية في أثينا والاسكندرية فألجأهم للجلاء والشرادفما اعتصموا منه إلا بقارس. وأخذ هؤلاء وأولئك ينقلون إلى السريانية والكلدانية كتب أرسطو وسقراط وجالينوس وأقليدس وأرخميدس وبطليموس، فكان ما ترجموه من العلوم ومن خرجوه من العلماء قواة صالحة لهذه النهضة المباركة التي نهض لها الخلائف الأولون من بني العباس. كان أول من تلقى وحي هذه الرسالة الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور فأنشأ المدارس للطب والشرية واستقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديابور ونفرا من السريان والفرس والهنود فترجموا له كتابا في الطب والنجوم والأدب والمنطق. ثم حملها من بعده الرشيد ففتح فيها من روحه ونشرها في العالم بروحه وترجم في زمنه ما وجد من كتب الطب والكيمياء والفلك والجبر والنبات والحيوان. فلما تلقاها المأمون لم يبق من كتب العلوم والفنون والصناعة شيء في العبرانية واليونانية والسريانية والفارسية والهندية إلا نقل إلى العربية. ولم يقف العرب عند المنس في هذه الترجمات وإنما أقبل بعضهم على تحصيل

اليونانية واللاتينية ليرجعوا بها إلى بعض تلك الأصول. وفي مكتبة الاسكوريال ما يثبت ذلك من قواميس عربية يونانية وأخرى عربية لاتينية قد ألّفها العرب للأرب. ثم أقبل الناس في الشرق والغرب على هذه العلوم يعالجونها بالشرح والتحليل حتى اجتازوا سراجا دور الفلسفة والتقليد إلى دور الابتكار والتجديد، فبوا ينشئون المدارس ويقومون المراصد ويحسبون المسائل ويؤلفون الرسائل ويؤسسون المكتاب، وقد جروا في ذلك إلى أبعد الغايات. ذكر (بنامين دتودله) أنه رأى في الاسكندرية عام ١١٧٣ م عشرين مدرسة، فاظنكم ببغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وقد كان فيهن عدا العدد الوفير من مدارس الثقافة العامة جامعات للثقافة الخاصة وما يتبعها من وسائل البحث كالمعامل والمراصد والمكتاب؛ وانكم لتكبرون ما بذله العرب من الجهود الجبارة في سبيل المدنية والعلم إذا قسموه بما خلفوه من البحوث وما ألقوه من الكتب. فقد تناولوا أصول المعارف الإنسانية بالتقصي الدقيق والنوص العميق حتى فرعوها إلى ثلاثمائة علم أحصاها طاشكبرى زاده في كتابه مفتاح السعادة. ثم استنزفوا الأيام في معاناة التأليف على صعوبة النسخ وكثرة المؤونة وقلة الجدوى. فتركوا العالم ذلك التراث الضخم الذي أشتملت عليه مكانهم في الشرق والغرب. فقد ذكر (جيون) في كتابه عن الدولة الرومانية أنه كان في طرابلس على عهد الفاطميين مكتبة تحوى ثلاثة ملايين مجلد أحرقها الفرنج سنة ٥٥٠٢ هـ، وقال المقرئى أنه كان في خزانة العزيز بالله الفاطمي مليون وستمائة ألف مجلد نزل بها منازل بمصر من الأحداث فاعترقت في النيل أو أُلقيت في الصحراء تسقى عليها الريح حتى صارت تلالا عرفت بتلال الكتب وروى المقرئى أنه كان بخزانة الحكم الثاني بقرطبة أربعمائة ألف مجلد فيها أربعة وأربعون ألف مجلد، وأبلغها الأستاذ جوستاف لوبون إلى ستمائة ألف، ولاحظ بهذه المناسبة أن شارل الحكيم الذي اعتلى عرش فرنسا سنة ١٣٦٤ أى بعد خلافة الحكم بأربعمائة سنة، لم يستطع أن يجمع في المكتبة الأهلية بباريس حين أسسها إلا تسعمائة مجلد كتب ثلثها في علوم الدين. فاهكم بالثمانين ألف مجلد التي دمرها (كيبفيس) في ساحات غرناطة وبما أحرقه النار في بخارى وسمرقند وأغرقه هلاكو ببغداد عاصمة العلم والعالم في ذلك العهد ما يلوح لي أنه ليس في ذلك كثير من المبالغة، فإن في المؤلفين من تبلغ تصانيفه بضع مئات، وان في المؤلفات ما يقع في عشرات

المجلدات، فلا في عيدة ماتنا كتاب، والكندى واحد وثلاثون ومائتان، والرازي مائتان، ولا بن حزم أربعائة، والقاضي الفاضل مائة. وجاء في فتح الطب أن مؤلفات عبد الملك بن حبيب عالم الاندلس قد بلغت الالف. على أن توالى الفتن والحن على العالم الاسلامي لم يبق للعصر الحديث من هذا الكثر المدخور والمجد المطور الا تلاتين ألفاً وزعت على مكاتب العالم يزعم بعض المتعصبين من العلماء الأوربيين أن العرب إنما كانوا في العلم حيلة على اليونان ونقله عنهم، فليس لهم أصالة فكرية ولا عقلية فلسفية، ولو لم يكن للعرب على زعمهم من الاثر الا أنهم اقتدوا هذه الكتب من عدوان الارضية، وحفظوا تلك العلوم من طغيان الجهالة، حتى أدوها صحيحة نقية الى العصور الحديثة لكان لهم بذلك وحده الفخر على الدهر والفضل على الحضارة. فكيف والواقع غير ما يدعون بشهادة النصفين منهم؟ فان ملايين الكتب التي دمرتها بربرية اسلافهم في الغرب، وانشاء اسلافهم في الشرق، لم يكن ما نقل منها عن خوالي الامم الا بضعة مئات كانت أساساً لبناء باذخ ضخمة شاده العرب، ونواة لدوحة باسقة ظليلة رواها وغذاها الاسلام. فالتب قد أخذوا أصوله عن اقراط وجالينوس وبعض الريان والهنود، ولكنهم تقوا هذه الاصول من التعتقة، ورتقوها بالترتيب، ونموها بالتجربة، وانتقدوا مذاهب القدماء في تحليل بعض الادواء، واستحدثوا في التشخيص والعلاج نظريات وعمليات ووسائل أطبق الباحثون على أنها لم تعرف من قبلهم، ولم تنب الى غيرهم، ككشفهم علاج اليرقان والهيضة. واخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب في الفالج والحمى والقوة على غير ما ألف الأقدمون. نقل ذلك صاعد بن بشر ينداد فتجع تديره فاقندى به سائر الاطباء بعده. وهم أول من استعمل المرء قد في الطب، والكاويات في الجراحة، وصب الماء البارد لقطع النزيف. وقد فطنوا الى عملية تفتت الحصاة، وعين ابو القاسم خلف بن عباس الزهر اوى المعروف عند الفرنج (بالبركاريس) موضع البضع لاخراجها، وهو ما عت متأخرو الجراحين من الفرنج. وابو القاسم هذا هو الذي قال فيه الاستاذ هالير: «إن كتبه كانت المنهل السام الذي نهل منه جميع الجراحين بعد القرن الرابع عشر». وابو بكر محمد بن زكريا الرازي أول من كتب في أمراض الاطفال، وألف في الجدرى والحصبة، واستعمل الكحول والحجامة في الفالج. والرئيس

ابو علي بن سينا أمير الاطباء وجالينوس العرب كما يلقبه الفرنج وضع كتابه القانون فكان شريعة الطب في العالم زهاء ستة قرون. وكان عمدة التدريس في جامعات فرنسا وايطاليا ولم يقطع تدريسه من جامعة مونبليه إلا أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعرض فيه بالتفصيل الدقيق الى علم الصحة وقصر نظرية (المهجين) الرياضي وهي نظرية كان المظنون انها من ثمرات العلم الحديث. ومن الاقوال المأثورة ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس، وكان متفرقاً فيهم، الرازي وكان ناقصاً فأكله ابن سينا. واذا مضينا تذكر أمثلة بما جدد سائر الاطباء العرب كابن زهر وابن رشد وابن باجة وابن طفيل استبحر القول والثبات علينا تحديده وحصره. وفي كتاب طبقات الاطباء لابن ابى اصيعة وتراجم الحكماء لابن القفطى وتاريخ الطب العربي للكثير الكماينقع غلة المستزيد. وللغرب القدم الأولى واليد الطولى في الصيدلة والكيمياء والنبات، وهي في رأيهم شعب من علم الطب أو لواحق به. فهم واضعو أصول الصيدلة وأول من مارس تحضير العقاقير واستباط الادوية. كذلك هم أول من ألف في الاقرباذين على هذا النمط، وأقام حوائث الصيدلة على هذا الوضع. وظل العرب معتمدين في المارساتات والصيدليات على أقرباذين وضعه سابور بن سهل في منتصف القرن الثالث من الهجرة حتى نسخه اقرباذين ابن التليذ المتوفى سنة ٥٦٠ بخداد. ولا تزال اسما العقاقير التي أخذها الفرنج عن الشرق في كتبهم على وضعها العربي المرتجل أو المنقول. ولا نزاع اليوم في أن علم الكيمياء الصحيح إنما يؤرخ وجوده بمجهود العرب فيه. فانهم في سبيل العثور على الاكسجين أو انكاره هدوا الى عمليات أساسية ومركبات كيميائية كان لها الأثر الظاهر في تأسيس هذا العلم. والفرنج يعترفون للعرب بانهم عرفوا التقطير والترشيح والتصعيد والتدبيب والتنبور والتكليس، وأن جابر بن حيان وأخلافه قد استنبطوا طائفة من الاحماض التي تستعمل اليوم. كذلك برع العرب في علم النبات وبخاصة ما يتصل منه بالطب، فقد استفادوا مما كتبه ديسقوريدس وزادوا عليه ما وفقوا اليه من شتى الانواع وبختلف الشكول. والعلماء لأن واحد في أنه لم يأت بين ديسقوريدس اليوناني ولينييه السويدي المتوفى سنة ١٧٠٧ أطول باعاً ولا أوسع اطلاعاً في هذا العلم من ابن الطيار المسائي. فانه درس كتاب ديسقوريدس ثم رحل الى بلاد اليونان وأقصى ديار الروم لحقق أنواع النبات

بنفسه، واتصل ببعض من يعانون ذلك فاستعان بفهمهم على فهمه، وأضاف عليهم إلى علمه، ثم عبر إلى المغرب فقام بمثل ذلك، وطلب من أتباعه في مصر والشام فدرسوا حق الدراسة ثم وضع بعد طول الدرس وسعة الخبرة كتابه الموسوم بجامع مفردات الأدوية والأغذية فكان أجمع الكتب فيه، ومرجع الأوربيين في موضوعه، ولا يقل عن ابن البيطار في التفوق والفضل معاصره ومؤازره رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ فقد بلغ من اتقانه أنه كان يخرج إلى الأدوية والفلاوات في درس النبات ومعه مصور قد استكمل آكله وأصابعه، فيأخذ النبات ويحققه ويريه المصور في إبان نباته وفي وقت كماله ثم في حال ذراه وبه، فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ثم يصوره في كل طور من أطواره بالدقة، وذلك غاية ما بلغت الأمانة العلمية اليوم من الكمال. أما أثر العرب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية فيحبنا أن نشير إلى أنهم أول من نقل الأرقام الهندية إلى أوروبا، وأول من استعمل الصفر في معناه المعروف، وأن كلمة الجوزي اللاتينية مشتقة من اسم الخوارزمي محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٢٠ هـ وأن الجبر باسمه العربي يكاد يكون علماً عربياً بعد أن وضع الخوارزمي كتابه في الجبر والمقابلة. وقد قال (كاجوري) في كتابه تاريخ الرياضيات: «إن العقل ليلسك الدهش حينما يقف على أعمال العرب في الجبر». وفي مادة المثلثات من دائرة المعارف البريطانية أن العرب أول من أدخل المعاس في عداد النصب المثلثية، وهم الذين استعملوا الجيوب بالأوتار وطبقوا الجبر على الهندسة وحلوا المعادلات التكعيبية. وفي الفيزياء أو علم الطبيعة كشفوا قوانين ثقل الأجسام جامدها ومائتها، وبحسبوا في الجاذبية وقالوا بها. وكان أبو الحسن علي بن إسماعيل الجوهري أول من وضع مبادئ الضوء وأوضح أسباب انعكاسه عن النجوم، وأصلح الخطأ الشائع يومئذ من أن الأشعة تنشأ في العين ثم تمتد إلى المراتب، وتشهد دائرة المعارف البريطانية في مادة الضوء أن بحوث العرب فيه هدت العلماء إلى اختراع المنظار. وفضل العرب على الفلك من البيانات المسلمة، فقد رصدوا الانفلاك والنوا الأربابج وأبتكروا آلات الرصد وصنعوا أغلاط اليونان والهند وحسبوا الكسوف والخسوف ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفي وقالوا باستدارة الأرض ودورانها على محورها. وذكر (سكوت) في كتابه المملكة الاندلسية أن عالماً من طليطلة رصد أربعة عشر رصد وبنال يحقق أبدا نقطة

في الشمس عن الأرض ولم يختلف حساب في ذلك عن أدق المباحث الحديثة الأجزاء. من الثانية. ويقول (كاجوري) أن اكتشاف بعض الخلل في حركة القمر يرجع إلى أبي الوفاء الفلكي الزجاجي لا إلى ثيخوزي. وقد عد لالاند الفلكي الفرنسي الثاني في العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله ولا تزال طائفة الاصطلاحات العربية في الفلك مستعملة في كتب الفرج كالمسند والنظير والمناخ والمقنطر والسموت فضلاً عن أسماء النجوم والبرق منها لا يقل عن النصف.

وأما أثرهم في الفلسفة المدرسية فإن الكندي والفارابي وابن سينا في الشرق، وابن باجة وابن طفيل وابن رشد في الغرب، قد توفروا على فلسفة اليونان بالدروس والشرح والتلخيص حتى جددوا دارسها وجعلوا طامها وكملاوا ناقصا ووسموا بسعة الحرية والعقوبة والنضوج. ولقد أثار ابن سينا بفكره الحر المنظم، وعقله القوي المنطقي، مسائل من العلم تشغل أذهان الباحثين اليوم. ووضع ابن طفيل قصة الفلسفية (حي بن يقظان) فأبان عن قوة تاددة في التفكير، وموهبة عجيبة في التصوير، واستيعاب منتج للأفلاطونية الحديثة. وقد نقل هذه القصة إلى اللاتينية (إدوار بوكوك) سنة ١٦٧١ ظهر أثرها سريعاً في قصة (روبنسون كروزو) وشهد رينان لابن رشد في كتابه عنه «أنه أعظم فلاسفة القرون الوسطى من تبع أرسطو ونهج سبيل الحرية في الفكر والقول، ودخلت العالم المسيحي فلسفة ابن رشد وفلسفة أرسطو فكان الاعتراض عليها شديداً والاعجاب بهما أشد. وكان اللاهوتيون في القرون الوسطى يعجبون بابن رشد وسعة علمه ودقة فهمه ونفاذ بصيرته ولكنهم كانوا يخشون أثر رأيه الجريء في العقائد. وتجردون (دائمي) في المهلة القدسية قد جعل ابن رشد وابن سينا في المقام الذي جعل فيه عبائر الرجال من جهنم. تلك يأساد في إشارات مبهمة بمجلة إلى جهود العرب في العلم وآثارهم في الفكر تجردون يأنها وتفصيلها في تاريخ هذه العلوم، عرضتها هذا الإجمال على سبيل المثال لنقول لأصحاب ذلك الرأي الظنين الأدين أن التجديد في العلم يستلزم الاستقصاء البالغ والتأمل التام والفكر المستقل، وأن العرب كما قال البارون (كارادف) لم يكونوا نقلة للعلوم غصب. ولكنهم بذلوا الجهد في إصلاحها وتحقيقها، وأفرغوا الوسع في بطلها وتطبيقها، حتى أدوا أمانتها إلى العصر الحديث.

• يتبع •

فلسفة شوبنهاور

للاستاذ زكي نجيب محمود

عصره :

سادت في أوروبا روح التشاؤم في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتملك النفوس بأس قاتل ، وارتفعت بذلك أصوات انزعاج الفلاسفة في كل ناحية من نواحي القارة : يرون في إنجلترا ، ودي موسى في فرنسا ، وهبي وشوبنهاور في ألمانيا .

ولقد يقف المرء أمام هذه الظاهرة العجيبة وفيه لا تطول كثيراً حتى يجد أسباب ذلك في طيبة ذلك العصر وظروفه التاريخية : فقد انضجرت الثورة في فرنسا ودوت في أرجاء أوروبا دوايا اهتزت من حوله عروش ، وكان لصوتها صدى في كل الصدور وأثر عميق في كل النفوس ، فن أشراف ناقلين ساخطين ، إلى ذراع يهللون لها ويكبرون ... ثم كانت واقعة وترلو فضخت ذلك الصوت الداوي ، وعزل نابليون على صخرة سنت هيلانة الصامتة الموحشة في عرض المحيط ، وعاد (البوربون) إلى ملكهم في فرنسا ، وعاد في ذيلهم أشراف الانتطاع يطالبون بأملأكم ، وانتشرت في أوروبا حركة رجعية تسمل على طمس معالم الثورة والتجديد .

كم من ملايين الشباب ذهقت نفوسهم عبثاً ، وكم من عامر الأرض بات خراباً بطقاً ... فكنت لا ترى على وجه أوروبا إلا أناراً خربة وألقاضاً هنا وهناك ، ذلك لأن الجيوش النابليونية الجراوة من ناحية ، وأعداءها من ناحية أخرى ، أخذت تروح وتجيء أكثر من عشرين سنة قضت فيها على الأخضر واليابس ، وخلفت القرى والمدائن يتأبها قمر مدقع ويؤس شامل .

ماتت الثورة الفرنسية وكانها انتزعت معها روح الحياة من أوروبا ، لأن قلوب الشباب البطامع في كل بقعة من بقاعها كانت قد صفت إلى الجمهورية الناشئة وعاشت في ظلال الأمل الواردة حيث أملت في مستقبل ذهبي سعيد ، فما هي إلا أن وقعت الواقعة في وترلو حتى تحطمت كل هذه الآمال وتبدلت بمأساة سنت هيلانة ومؤتمر فينا ، فذبت في النفوس روح اليأس التي ملكت على الناس شعب الحياة ، وأثر ذلك في النزعة الدينية أثرين مختلفين : أما الطبقة الفقيرة الجماعلة فقد التجأت إلى الدين تجمد في كنفه السرى والعراء ، وأما الطبقة المتفكرة فظفت على قلوبهم موجة إلحادية ، ولم تعد عقولهم تسبح أن يكون ثمة مدبر أعلى لهذا الكون .

فأما فريق العقيدة والدين فقد اتضح بأن هذه التنبؤات ليست إلا ادلالاً للنفوس جزاء وفاها بما نزعته اليه من الاعتزاز بحكم العقل وبند العقائد وراء الظهور . وأما فريق الإلحاد فقد ارتأى أن اضطراب أوروبا ينهض دليلاً قوياً على فوضى الحياة وعيها ، وعلى رأس هؤلاء يرون وهبي وشوبنهاور .

فلسفة :

١ - العالم فكرة

يرى شوبنهاور أن الوساطة الوحيدة بين الإنسان والعالم الخارجي هي الحواس والمشاعر ، فأنت إذا رأيت شجرة انطبع صورتها في ذهنك وهذه الصورة إنما انتظت عن طريق عدسة العين ، فقد تكون مطابقة لحقيقتها الخارجية وقد لا تكون ، وقل مثل ذلك في كل معلوماتك عن أجزاء الوجود ؛ فالصورة التي كونها ذهنك عن هذه الدنيا هي فكرة خلقتها حواسك ولا يتحتم أن يكون لها حقيقة واقعة مطابقة لها . واذن فالإنسان كما يقولون دنيا نفسه ، وأن في الوجود من الدنى بمقدار ما فيه من عقول بشرية .

يخلص شوبنهاور من هذا بأن الواجب الأول هو دراسة العقل قبل البدء بدراسة المحسوسات ، لأن في دراسة العقل المفتاح الذي نصل به إلى حقائق الوجود الخارجي .

٢ - العالم إرادة

يكاد يجمع الفلاسفة على أن كنه العقل وجوهره هما الشعور والفكر ، إلا أن شوبنهاور يرفض ذلك رفضاً ، ويقول بأن الشعور إن هو إلا قشرة خارجية لمقولنا لا يعرف على وجه الدقة ما تحويه في باطنها ، فهذا الفلاف المفكر يخفى وراءه إرادة لا شعورية ؛ لا يحمدها نشاط ؛ ولا تنبئ لها رغبات وآمال ، وهي التي تملك زمام الإنسان في كل حركاته وأعماله ، أما هذا المنطق الذي نحتكم إليه في كثير من شئوننا ، والذي يخيل إلينا أنه نابع من العقل الواعي ، هو في الواقع ملجأ هذه الإرادة الباطنية ؛ فنحن لا نريد الشيء لأن هناك من الأسباب المنطقية ما يدفعنا إلى ذلك ، ولكننا نخلق الأسباب خلقاً إذا كنا نريده إرادة لا شعورية . فالأسباب نتيجة لا مقدمة ١١ بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا الزعم فنقول : إننا إنما نخلق الفلسفات ونبتدع الديانات لنخفي في طياتها ورغباتنا الخفية .

ابحث في كل نواحي النشاط الإنساني ، تجد دوافعه مشتقة من الإرادة اللاشعورية ، لأن العقل والشعور . فهذا التافس والتناحر

على أسباب العيش من طعام ولذات . أعما ينج من ، ارادة الحياة . التي يطنها كل كائن في طوبايا به ، حتى شخصية الفرد لا تكون من أعماله العقلية ولكن من نزواته اللاشعورية التي يندفع اليها ب ارادته الخفية ؛ ومن هنا كانت الديانات على اختلافها تعد الحنة للارادة الطاهرة (أى القلوب) ولكنها لا تعرف بالمقول الكبيره ولا تحسب لها في جناها حايا

ولست سيطرة الارادة مقصورة على الحياة الفكرية . بل تعداها الى الدائرة الفسيولوجية . ف ارادة الحياة خلقت أوعية يجري فيها الدم . و ارادة المعرفة خلقت غنا يصل الى شتى المعارف ، و ارادة القبض على الأشياء خلقت الابدى ، وهكذا نشأ كل عضو بعد نشوء ارادة وظيفته ، فحركات الجسم هي في الواقع ارادات مجمة بل الجسم كله إرادة متبلورة .

إذن فالارادة ، لا العقل ، هي كنه الانسان بل كنه الكائنات الحية جميعا ، هذه الارادة التي تحدث عنها هي ارادة الحياة ، وليس الحياة أيا كان لونها ، ولكن ارادة الحياة الكاملة .

ولست هذه الارادة مقسمة بين الأفراد أعني ليس لكل فرد ارادته المستقلة تمتص به كيف شئت ، ولكنها ارادة واحدة تتناول الحياة بأسرها كنلة واحدة وشيئا لا يقبل التجزئة ، فالفرد ليس حقيقة في ذاته ولكنه ظاهرة لحقيقة ، فهو جزء من كل متماسك ، ومخوم عليه بحكم ارادته أن يسير في طريق مرسوم حتى لا يضطرب نظام ذلك الكل المتحد . ومن هنا نشأت الرغبة التامل مثلا ، فهي ليست رغبة فردية ، ولكنها رغبة الحياة بأسرها وهي وحدة التي تضر الأفراد لصالحها بل ان هؤلاء الأفراد هم الصورة المحيطة التي تظهر فيها ارادة الحياة . يقول سينوزا : لو أن حجرا ألقى في الهواء وكان لديه شعور وإدراك لظن أنه إنما يتحرك بمحض ارادته الحرة وأنه هو الذي يختار الزمان والمكان اللذين يقع فيهما . وما أشبه الانسان في حياته بذلك الحجر الملقى : كلاهما تخضع قوة خارجية وكلاهما يتروم أنه حر . لا سلطان على ارادته .

نعم ، ارادة الحياة في عمومها حرة التصرف لا تقيس هناك ارادة محددة تصرفها ، ولكن كل قالب من قوالب الحياة ، أى كل جسد مادي يندب فيه جزء من الحياة ، محدود ولا ريب بتلك الارادة الكلية سواء أكان ذلك القالب الحى نوعا أم دواءم عضوا من فرد .

٣ — العالم شر

مادامت الارادة أساس الحياة ، فالحياة شر كلها . ذلك لأن

الارادة معت لسلسلة من الرغبات لا تقطع . والرغبة عادة تمتد إلى أكثر مما يستطيع الانسان تحقيقه ؛ وهكذا يظل الانسان مدفوعا في حياته بآلاف الدوافع من الآمال التي ان تحقق بعضها فمعضها حائب فاشل ، وهو أمام هذا القتل الذي يضره في كل خطوة بخطوها يستحيل عليه أن يتدبر في حياته سعادة مطلقة . ثم هو لا مناصر له من هذه الرغبات التي يسرق بعضها لبعضا ، لأن جوهر الانسان ارادة كائنا ، فإذا هو تخلص من ارادته فقد تخلص من نفسه . ولا بد لهذه الارادة أن تعيش وتتغذى . وهذه المطامع المستمرة في حياة الفرد هي الوقود الذي تخلفه الارادة لتعسا

والحياة كلها شر كذلك ، مادامت الآلام هي طبيعة مادتها التي تكون منها ، وليست السعادة إلا حالة سلبية يقف فيها تيار الآلام وبما اصطاحنا على تسميت بالسعادة أعما هي الحالة التي يندم فيها وجود الألم ، أعني أن ليس ثمة سعادة إيجابية . وقد أشار أرسطو الى هذه الحقيقة بقوله ان الحكيم لا يجوز له أن يبحث عن السعادة ، بل يجب عليه أن يسعى وراء التخلص من آلامه .

وفوق هذا كله ، فالحياة شر كلها لأنها عراك عائم ، فأينا سرت صادفت تاحرا وتافسا وجهادا ، نكل فرع يقاتل في سيل المادة والزمان والمكان .

نعم لا زيب في أن الحياة قاسية مؤلمة ، وليس يعجب شوبينور إلا من متفائل يشتم لهذا العالم ، ويقول لو أن أشد الناس تفاؤلا طاف بالمستشفيات والجونوساحات الحروب ليشهد ألوان الألم والعذاب . ولو أنه رأى البؤس الذي يتوارى خجلا في أركان الأكوام المظلمة . نعم لو أبصر هذا وذاك وما هو شر من ذلك جميعا ، لانتقلب متشاظا يؤوس على القود . وإلا فحدثني بربك من أس اشتى فأتى صورة جسيمه إلا من هذا العالم الذي نعيش فيه ؛ ومع ذلك فقد كونها صرورة ما أهرها من صورة الائم انظر كيف اصطدم بمشكلة سقطت أمامها عبقرته عجزا واعيا . عندما أراد أن يصور جنة سعيدة ، لأنه النض من الحياة اجزاء الصورة التي يريد فر عليه المثال !! .

٤ — القلفة

وأينا كم يدفع المرء من الشقاء ثمنا باعظا لآلامه ؛ وعلمنا أن الحياة بما تحوى من شر تجارة خاسرة لا تساوى ثمنها !! . ولكن ألا نستطيع أن نرسم طريقا للسعادة ؟ ذلك ميسور اذا قلب جانب العقل والمعرفة على جانب الارادة والرغبة من الانبان . فأنت عاجز عن ادراك السعادة اذا تملكك الارادة منك (البقية على صفحة ١٥)

لماذا ترجمت فرتر

« ان الهدى التى سافرت هذا المجال وهو مطلق الحرية
فى سعادتها فاجبت عنه وهو سجن لا ينداد فى كركوك »

تسألنى لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هذا السؤال
حديث ، والحديث غداً سيكون قصة ، وليس بعينك اليوم
منها إلا ما يحجم عنها :

قال (حوت) يوماً لصديقه (اكبرمان) : « كل امرئ
مأنى عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) إنما كتبه خاصة ،
وأنا فى سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحب الشباب طرير حصرة
الحياة والاضيقاض والدرس ونمط الترية وطبيعة المجتمع فى
دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده ... واحسن
مشوب يتوقد شعوراً بالجمال ، وقلب رغب يتحرق ظمأ
إلى الحب ، ونوازع طامحة ما تملك تجيش ، وعواطف
سيالة ما تكاد تبتلك ... فالطبيعة فى خيالى شعر ،
وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ... وكان
يهمى لكل شئ ، وحكى على كل شخص بصدران عن منطق
أمد أقيته الخيال ، وزود نتائجه المثل الأعلى ، ثم غمر هذه
الحال التى وصفت هوى دخيل هادى ، ولكنه مبلع ، فسبحت
مه فى فيض سيارى من النشوة واللذة ، وأحسست أن
وجودى الخالى قد امتلأ ، وقلبي الصادى قد ارتوى ، وحسى
العائر قد سكن ، ونجيت أن جأتى الحائرة قد أخذت تميز
فى طريق لا يجب تشتت على مدارجه نواضر الورد ، وترف
على جوانبه مراح الرياح ، وتزهو على جوانبه الوان عترة ،
وترقص على حفايفه عرائس الحور ... ورحت أسلك هذا
الطريق الحرى بحولاً على جناح الهوى كأننى (فوست) على
جأحى (ميفستوفاليس) حتى ذكرنى الزمان الغافل فأقام فيه
عقبة اصطدم عندها الخيال بالواقع ، والحبيب بالمخاطب ،
والعاطفة بالمنفعة !! على أنى بقيت على رغم الصدمة حياً
ولا بد للحن أن يسير !!

تطلعت وراء العفة انظر الطريق فلذا الأرض قعر
والورد عوسج والريحان حمض ، والعرائس وحوش -
فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرفيق المؤنس ... ولكن أين

أنشدما أبهى وحولى من الفراغ نطق مخيف ، وأمامى على أسنة
الصخور أشلاء وجثث ١١ هذه أشباح صرعى الهوى تترأى
لعينى ، وهذه أرواح قتلاء تهاقت على ، وهذه سجلات مصارعهم
بين يدى ، فلم لأحدوا بأناشيدهم رواحلى ، وأقطع بمناجاتهم
مراحلى ، وألتبس فى مراحهم لهرأى عزاء وسلوة ؟؟

قرأت هيلويز الجديدة ، ورييه ، واتالا ، وأودلف ،
ودومينيك ، وماريون دلورم ، ومانون ليكو ، وذات
الكيليا ، وجاريللا ، ورفاتيل ، وحارب دكريف ،
وتوثقت بأشخاصها صلاتى ، وتصدت فى زفرائهم زفرائى ،
وتملت فى نهايتهم المحزنة نهايتى ، ولكنهم كانوا جميعاً غيبرى !
تفق فى الموضوع ولكن تفسرت فى الوضع ، كالنساء
النواب فى مناعة ، تدب كل واحدة منهن تقيدها وموضوع
الأسبى للجميع واحد هو الموت !!

فلما قرأت (آلام فرتر) سمعت نواحا غير تلك النواح ، ورأيت
روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالاً غير تلك الحال !!
كنت أقرأ ولا أرى فى الحادثة سراى ، ولمشعر ولا أشعر
إلا بهوى ، وأندب ولا أندب إلا بلوائى ، فهل كنت أقرأ
فى خيالى أم أنظر فى قلبى ، أم هو الصدق فى نقل الشعور والحدق
فى تصوير العاطفة يظهر أن قلوب الناس جميعاً على لون واحد ؟؟

كنا يومئذ فى مايو والطبيعة تعلن عن حبها بالألوان
والألحان والطر ، ونفسى تحاول أن تعلن عن هواها بالنبوغ
والشعر ، فالألمى تجيش فى عيني ، وعواطفى تنزى على لسانى ،
وبلايى تتوذب فى خاطرى ، وكلها تطلب السيل إلى العلاية ،
- والشكوى فى الحب كالطفح فى الحى كلاهما عرض ملازم -

فلما قرأت (فرتر) تنفس جواى المكظوم ، واستغنى عن
اليان هواى المكثوم ، لأننى لو كنت صبت مهجى على
قرطاس لما كانت غير (فرتر) ، وهل فرتر إلا قصة الشباب
فى كل جيل ؟ رجل شديد الحس قوى العاطفة يتقم الخيال
والإبدىال ، وراحى نفسه ، ورجل آخر بارد الطبع عمل
الفكر بعرف دائماً كيف يجر النار إلى فرسه ، وامرأة بينهما
يحبدها إلى الأول طبعها النزلى وقلها الشاعر ، ويربطها بالثانى
عقلها المادى ووعداها المأخوذ ... هذا هو موضوع آلام

فرتر وهو عنه موضوع آلامى . . . فلم لا أنقله إذن إلى لفتى
لينطق عن لسانى ، كما ترجم صادقاً على ضميرى ؟؟

فليت فى (حوت) وقادى إلهامه وروحه ، وأهنت بلغة
القرآن والوحى أن تنسج لهذه الصفات القدسية فأسمعتى
ببيانها الذى يتجدد على الدهر ويزهو على طول القرون . ثم
أصبح فرتر بعد ذلك لنفسى صلاة حب وثريد عزاء ورقية
هم ١١ كأنما كان (حوت) ينادىها من وراء الغيب حين يقول
فى تقديمه لفرتر : وأنت أيتها النص . . . إذا أشجاك
ما اشجاء من غصة المم وحرقة الجوى فاستمدى الصبر والعزاء
من آلامه . وتلى البر . والشفاء فى أسقامه . واتخذى هذا
الكتاب صاحباً وصديقاً إذا أوى عليك دمرك أو خطوك أن
نحذى من الأحذقاء من هو أقرب إليك وأحنى عليك ؟؟
١. الزيات

فلسفة شوبنهاور

(بقية المنشور على صفحة ١٤)

الزمام . وأنت عاجز عن إدراك السعادة بالمال والجاه . وهى على قاب
قوسين منك إذا أملت قيادك ال العقل وانطعت أن تضغط على
الارادة حتى تنحصرها فى حيز ضئيل . ويعتقد شوبنهاور أن الإجماع
لا يكون فى انخضاع العالم بأسره بقدر ما يكون فى انخضاع الارادة . . .
إذن فالميلوف وحده هو الذى يستطيع أن يتغلب على شقاء
الحياة . لأنه صورة من المعرفة غير المقيدة بالارادة . وإذا استطاع
المكر أن يتخلص من قيود الرغبة والهمى أمكنه أن يرى الأشياء
على حقيقتها المجردة

فالفلسفة هى عبارة عن النظر المجرد عن الارادة . هى انكار
المبادئ عند النظر الى مظاهر الوجود واعتبارها حقائق فى ذاتها دون
أن تربطها بالحياة البشرية

٥ - نفس

نحن إذن نقصد تحرير المعرفة من استبعاد الارادة . فنشد أكار
الشخص لنفسه عند نظره للأشياء . وليس هذا المقصود الا التفرق
أصح معانيه . فالعنان المعقود يحاول أن يرى الأشياء من وجهة
صفاتها العامة ولا يمسأ كثيراً بالأشباح المادية التى تمثل تلك الصفات

فموضوع الفن هو تجسيد الشكل العام فى جزئ من الجزئيات والصورة
الفنية يجب أن تكون المثل الأعلى للفنى المصور . ومعنى ذلك أن
صورة البقرة مثلاً لكي تكون من آيات الفن الرفيع ، يجب أن
يتجمع فيها كل مميزات هذا النوع وما يتعلق به من صفات . كأن
نوع البقرة كلف قد تركز فى هذه البقرة الواحدة . وصور الأشخاص
يجب أن تفقد لآلى الدقة التوفيقية . بل ال عرض بكل ما يمكن
عرضه من صفات الانسان عامة فى ملامح الشخص المصور . اذ
الواقع أن الفنان يصور صفات . وليست الاجسام الا وسائل فقط
لابراز تلك الصفات .

ولنوجز هذا فى عبارة أخرى : نقول ان الصورة الفنية لشيء ما
يجب أن تكون عبارة عن : المثل الافلاطونى . لذلك الشيء . .
وقد ما تقرب الصورة من ذلك المثل الخيالى تكون فيتها الفنية .
فطربنا لجمال الطبيعة أو الشعر أو التصوير انما يصدر عن
تأمل الأشياء فى حقيقتها الواقعة دون أن يتخزع ذلك التأمل برؤية
النظر الشخصية . فواء لدى الفنان أن يرى غروب الشمس من
قصر منيف أو من كوة فى مجن مظلم .

فالفن يحمر يؤس الحياة وعظماً بأن يعرض علينا صوراً خالدة
من وراء هذه الصور الفردية الزائلة .

٦ - الدين

واذا كانت الفلسفة وسيلة لاتقاء شروخ الحياة بما تستطيعه
من انخضاع الشهوة لحكم العقل . واذا كان الفن عاملاً من عوامل
السعادة لأنه لا يمسأ بالأشباح المادية التى تتحرك أمامنا وانما يعنى
حقائق هذه الأشياء الخالدة . فالدين طريق ثالث يؤدى الى سعادة
النفس وطمأنينتها لأنه بدوره عبارة عن انخضاع الارادة لحكمة
العقل . فالعظام الذى تفرضه الأديان جميعاً يقصد منه تدريب
النفس على قهر ارادتها أو شهورتها .

٧ - حكمة الموت

وبعد . فما أعجيب أن تكون الحياة كما هى شروخاً وآلاماً . ومع
ذلك تحد لها من أنفسنا عرماً على الاقشار والذبورع ١١ يصبح
شوبنهاور بأعلى صوته إن الحياة سر . وسر ويجب أن تقضى عليها
قضاء مبرماً . ولكن كيف ؟ الحل عنده بسيط وهو أن نهجر النساء
هجراً جسيماً لأنهن أس البلاء بما يقدمن للرجال من قته واغراء .
وهو يتساءل : الى متى تدفننا الحياة أمامها دفع الخرافة وهى لا تحصى الا
شقاء وعناء . متى نتجمع كل ما نملك من قرة وشجاعة لتضيح فى وجهها
إن الحياة كدوبة وقعدة أن نجاة الانسان وخلاصه انما هو الموت ؟؟
دكى نجيب محمود

كسوف حلقى للشمس

يُشمع في يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣

للأستاذ عبد الحميد سماحه

مفتش مرصد حلوان .

ان الشمس وتصور آيات من آيات الله لا تكاد توفى أحد ولا غناء .
حديث شريف .

حسناً أن يكون في ذلك دليل مفهم للذين يقولون القول
وينسبون إلى الكواكب سعادة قوم وشقاء آخرين ، وهي برينة
من هذا وذاك . ولكن أئني لنا أن نفهمهم وفريق يتخذها
وسيلة للكسب ، وفريق آخر يتخذها رجاء وسلوة

لقد انقضت ذلك العهد الذي حسب الناس فيه أن بين الكواكب
وبين الأفراد والشعوب في سعادتهم أو شقوتهم واتصافهم
أو هزيمتهم ارتباطاً . وتقدمت الدراسات الفلكية في القرنين
الماضين تقدماً عظيماً ، وأصبح في استطاعة الفلكيين أن
يقيسوا درجة حرارة النجوم كما يقيس الطبيب درجة حرارة
المريض ، واستبانوا أبعادها وأحجامها وأوزانها وتركيبها

ولم تعد الظواهر الفلكية منشرة بالحروب والبلاء ، أو
مبشرة بالسعادة والرغاء ، بل أصبحت تجربة علمية كبيرة تجربها
الطبيعة فيستغلها العلماء إلى أقصى حد فيما لا يتيسر لهم تجربته
على ظهر الأرض . فهناك مثلاً كثافة السديم زراها أدنى
مليون مرة من كثافة أية مادة تصل إليها أيدنا بينما هي في
بعض النجوم أعلى بمقدار مليون مرة من كثافة أية مادة على
الأرض أفليت شعري كيف يقسنا أن نعرف طبيعة المادة
من التجارب التي نجربها في المعمل ولا يزيد مدى كثافة المواد
التي بين أيدنا على واحد في مليون المليون من المدى التكملي
لكثافة المادة في الطبيعة ؟؟

لقد أصبح من الصعب إيجاد الحد الفاصل بين أنواع
العلوم الطبيعية ؛ وتقدمت الاكتشافات العلمية وهي سلسلة
الحلقات ، فمن الكثرونات أنظارها كسوف من ملايين

الملايين من الومعة ، إلى سدائهم نفاس مئات الآلاف من
ملايين الملايين من الأميال ، فكل زيادة في معلوماتنا الفلكية
تزيد حتماً في معلوماتنا في الطبيعة والكيمياء والعكس بالعكس .

لهذا كان اهتمام العلماء بالظواهر الفلكية عظيماً ، فهم
يستغلونها في أبحاثهم ، ويقيسون عليها نظرياتهم ، وكثيراً ما كانت
الأرصاء الفلكية سبباً لاكتشافات عظيمة كان للبشرية منها
نفع مادي جليل الشأن . مثال ذلك أن غاز الهليوم اكتشف
أولاً في تحليل طيف الشمس أثناء كسوفها في عام ١٨٦٨ . وهذا
الغاز كما نعلم عظيم المنفعة لأنه الغاز الوحيد الصالح للحل . المناطيد .
ونحن إنما نذكر هذا الحادث العظيم على سبيل المثال للذين يزنون
العلوم بمقدار ما يمكن أن ندر عليهم أو على البشرية من نفع مادي
ولكن الغاية الأولى من الدراسات الفلكية هي البحث وراء
الحقائق العلمية وحدها ولذا ، وهي غاية تدافع عن نفسها بنفسها .

لقد أصبح كل طالب يعرف أن الأرض ومثلها الكواكب
السيارة النجمية الأخرى إنما تدور حول الشمس في مدارات
دائرية ، وأن القمر يدور حول الأرض في مدار دائري أيضاً .
وأما إذا توسط القمر بيننا وبين الشمس حجب أشعتها
عنا فتكسف الشمس ؛ ولكن يجب أن نضيف هنا
أن مدار القمر حول الأرض يميل بمقدار خمس درجات
على مدار الأرض حول الشمس فالثلاثة لسن في مستوى
واحد على الدوام ، ولو لا ذلك لحدث كسوف للشمس كلما
كان القمر في المحاق حيث يترسط وقتئذ بين الأرض والشمس .

لقد حسب الفلكيون أن كسوفاً حلقياً للشمس سيحدث
في القطر المصري في يوم الجمعة الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣
يبتدىء في الساعة الثالثة والدقيقة ٤٣ مساءً . وينتهي في الساعة
الخامسة والدقيقة ٢٩ مساءً من نفس اليوم

أجل متكسف الشمس في ذلك اليوم ، وبين هذين الزمنين
المحددتين بالضبط لا محالة ، ولكن لا سبيل في ذلك إلى التفاؤل
ولا إلى التشاؤم ، فليست الشمس والقمر والأجرام السماوية
المختلفة الأخرى إلا آيات بينات لأولي الأبصار ؟

عبد الحميد سماحه

في الأدب العربي

العوامل المؤثرة في الأدب

ليس الأدب إلا التعبير القوي الصادق عن مشاعر المرء وحواسره وأخيه . وهذه تأثر بأحوال الميث وأنواع المعتقدات وأطوار المجتمع وأنظمة الملك وتقلبات السياسة ، ومن المفيد الاطلاع بهذه العوامل المؤثرة في الأدب لتكون دستور الخرج وشرعة الأديب ونيراس الباحث فيما يصدر عن الانسان من كد الأذهان ونفض القرائح . فمن هذه العوامل (طبيعة الاقليم ومناخ البلد) وأثرهما في حياة الناس وسلوك الأجناس معلوم في بذاته العقول . فأحوال الاقليم هي التي تهيج لاسكنه من معاشهم ونظام اجتماعهم . وتكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم . ومناظره هي التي تربي ذوق أبنائه ، وتغذي خيال كتابه وشعرائه ، فالشعر الجاهل مثلا صورة صادقة لطبيعة البادية وحياة البدو : فالقائظ خشن كالجلبل . ومعانيه وحشية كالأرواب ، وأساليبه متشابهة كالصخر ، وأخيه مجده كالقفر ، ولئن نجد في غير الجزيرة العربية أمثال الشنفرى وتأبط شراً والليث بن السلكة من هؤلاء الشعراء الصالحين الذين تغنوا بحياة البادية ومناظرها وأباعرها وغزلاتها وكتابها وأحلالها وجبالها بشعر متين الحبل صادق الوصف جاق اللفظ عنجهي الخيال . وقد اختلف الشعر في شبه الجزيرة نفسها باختلاف أماكن : فهو في نجد غيره في الحجاز ، وهو في أهل النجر غيره . أهل المدر . ولهذا العامل وحده نغز انقراض الأراجيز وهي أقدم الأطوار لشعر البادية حين ارتحل ناظموها من الصحارى المجردة الى سواد العراق ودينه . وفي حواشي العراق وظلاله . وخامل نجد وجباله . اخضر عود الشعر واستقام وزن القصيد ومن ثم قال القدماء ان اسراً القيس ومهليل بن ربيعة وعمرو بن قيس هم أول من قال الشعر وأطال القمائد ، وما كانوا في الواقع الا زعماء الهبة الأدبية في هذه البلاد .

وغل عامل الطبيعة بفعل قومه في الأدب خلال القرون خالف . بين الشعر في عواصم الشرق وبينه في الأندلس . فقد وجد شعراء

ان عرب في اوروبا ما لم يجدوه في آسيا من الاجواء المتغيرة والمناظر المختلفة والامطار المتصلة والجبال المؤثرة بسيم النبات . والمروج المطررة بالزنان النور . فهدبوا الشعر وتأفخوا في ألقاظه ومعانيه . ونوعوا في أوزانه وقوافيه ، ودبحوه تدبج الزهر ، وسلطوه سلة النهر . وسلكوا به سلك التروع والتجديد . وهذا العامل هو الذي يخالف اليوم بين الأدب في مصر وبينه في الشام والعراق . فالطبيعة المصرية تكاد أن تكون نائمة : فالجر معتدل في جميع الفصول لا يكاد يختلف . وجنول الوادي الحبيب لا تفر من الزهور والورد ، والسبا السافرة والصحراء الواسعة لا تكاد مناظرهما تتغير . فإذا لم تكن طبيعة بلادنا نائمة فهي على الأقل مسالة ، لأنها لا تزججنا بالزلازل النيفة . ولا تهزنا بالعواصف الرعد . ولا تمزنا بالبرد القارس والحر اللاصق . فطبع أهلها على الرذاعة والفكاهة والبشاشة والكل والمحافظة على القديم من العادات والأخلاق والآداب فلا تتطور هذه الأمور في مصر الا بمقدار . ولذلك نجد شعرا متضاد القبط جيد السبك بطي . التجدد هادي الاسلوب لبن العطف لا يأخذ الأمور الا بالملاينة والرفق . بينما نجد الشعر في الشام شديد الحركة كثير التروع سريع التجدد فلق الاساليب لتعدد المناظر واختلاف الصور وتقلب الطبيعة ونشاط الحياة . وهو في العراق قوي أن تأثر ساخط متون منتشر على ألسنة الخاصة والعامة لالتهاب الخيلة وتوقد الشعور وحفاء الحسن من افراط الطبيعة في الحر والبرد وغلبة الحياة البدوية على كثرة السكان .

على أن هذا العامل قد أخذ يضيق منه أواسط القرن الماضي لسهولة المواصلات وكثرة المخترعات وانتشار المدنية ، فينتطبع الانسان أن يعيش في آسيا وأفريقيا كما يعيش في اوروبا . وسيزداد ضغط المستقبل دون أن يحس ويبد .

ومنها (خصائص الجنس) ف شعر العرب يختلف عن شعر اليونان في المذهب والخيال والفرس . وشعر ابن الرومي يختلف عن شعر ابن المعتز وقد نشأ في بلد واحد وعصر واحد . لأن الجنس الآري أميل الى الاستقامة والتفصيل والتحليل والتعقيد ، والجنس السامي لذكاء قلبه وحدة خاطره يفهم الشيء في لحظة ، ثم يلجئه في لفظة ،

هر أميل الى التعميم والاجمال والبساطة .

ومنها (دوام الحرب بين حنين أو أمتين لتفتح بلاد أو مد
عاد أو تحرير وطن) . فانت هذه الحروب تنمض عادة
عن أبطال يمدون في الخيال ، ويعظمون في الصدور ، ويكررون في
الزمن ، حتى تنسب اليهم الخوارق . وتجمع عليهم المحامد ، فتسير
بذكرهم الرواة ، وتحدث بأفعالهم القصاص . وتنقل شهرتهم من
م الى م ومن جبل الى جبل ، وهي في خلال ذلك تنسج وتفيض حتى
تصبح سيرهم لدى الشعب حديثاً وطبيعياً يجب أن ينشر ، وتراناً
قريباً يجزم على أن يزيد . فيفيض الله لمده السبر المتجمعة على
طول الدهور شاعراً سمح التريفة فيظلمها بأمارب شائق وعط
جميل ، كذلك دارت الالايذة الاغريقية على حررب اليونان لأهل
طروادة . ومهاياراته الهيدية على الحرب التي نضمت بين يدهو
وبني كزوي ، والشاهنابة الفارسية على تاريخ الاكاسرة ووصف
الحرب التي اشتعلت بين أهل ايران وأهل طوران ، وقد كانت تلك
الحروب مفخرة العرس الاولين ورمزاً للخلاف الدائم بين المي
الحيد والشر . وكذلك ذلوت أغاني رولان الفرنسية على حروب
الفرنج لعرب الأندلس . وهذا هو الشعر القصصى Epique أو
الملاحم Epoupe الذى خلا منه الشعر العرنى لأسباب لا يتصل
ذكرها بموضوع اليوم . على أن عامل الحروب قد أثر في اثر
العرن والشعر العالمى وان لم يؤثر في الشعر القصصى . فان حروب
الحروب الصليبية قد اقضى ثمرين بعض القصص الحماسية كقصه
عنترة وسيرة بني هلال والاميرة ذات الهمزة إثارة للنفوس وتحبيباً
للسبب وتقريباً من الميم .

ومنها - طيبة العمران وتوزيع الثروة وما يتصل بذلك من
حال الاجتماع - فان تقدم الحضارة ورخاء العيش ونماء الثروة
تؤثر في المرق ، وتزيد في الصور ، وتساعد على نشر العلوم ، وتنوع
في معاني الشعر وأساليب الكتابة . وشاهد ذلك أن مدن العجاز
حينما رخرت بالمال ونشبت بالتراخ منذ خلافة عثمان الى أواخر
القرن الاول للهجرة تدفق أهلها في اللهو وعكفوا على الفناء والفرا
أزمنهم في يبالصاية . واقطع شعراؤها الى الفزل فاقبوا ميم وتصرفوا
في مانيه وأغفلوا سائر أنواع الشعر الاخرى كمر بن ابى تريرة
وجميل بن معمر وكثير غيره . وشاهد آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية
في النون الادبية هو شيرع البناء والفحش في شعر بعض البغداديين
على عهد الرشيد والمأمون . فقد حدث شيء من ذلك في الجاهلية
وفي العصر الاموى حين كان التمرودق وتحرير ومن لمف فيها
يتجلبون بالفحش وشهاجون بالبناء ، الا ان ذلك لم يكن مقصوداً

لذاته ، وانما كان يقال هجاء للعدو وسباباً للنصم . اما الفحش في
شعر أبى وائس ومطيع بن اياس وحسين الضحاك وابن سكرة
الهاشمى وابن الجعاج فقد كان صادراً عن خلق وناقلاً عن طمع
ومعبراً عن حالة . فالكثراء يقولونه ويعلمونه ، وأهل البرنات
ودور المثالة يسمونه ولا ينكرونه . هيا ذا سئل ذلك الفساد الذى
بال الطباع العريية الحرة يجعلها تنهن الكرامة وتلقى شعار
الحشمة ؟؟ اذا غلظت بمعايد العرف حين نظمت الحضارة وشوّر
الطرب كان هذا التعليل وحده غير فاضل ولا مقنع . فان أكثر أمم
التمدن الحديث اليوم قد غرغروا في اللهو وشرفوا بالنصم وامتنعوا
في الخلعة ، ثم لا تمد النوايح من شعرائهم وكتابهم يجرأون على ان
يعدوا على أنفسهم بالفواحش أو يجهروا ان كبهم بالنفضاح .
وانهيك بما حدثت لفكتور مر جريت حين نشر قصة لاجرسون .
انما الاشء بالحق ان هناك سبباً آخر يساعد هذا السبب وهو
كثرة الرقيق ، وتأثير الرقيق انما حدث من جهتين : اولاهما قيام
العبيد على تزية الاحداث في كرائم الاسر ، وفي كثرة العبيد دناءة
في الطباع ووقاحة في القول فاقصدوا الشئ . وعردوم هجر القول
وفحش الحديث ، وأخرهما اقعام الجوارى والسرارى خدود
المقاتل فاعيدن من أخلاقهن بالهجنة ، فسقطت المرأة من عين
الرجل فاخذها بالعنف وضرب عليها الحجاب وأقام عليها الحشمة
على عادة الفرس واقصاها عن تزية الولد . ويميز البيت واتخذها
للنناع واللفة ، فكان من ذلك ان نشأت في الخاصة اخلاق العبيد
والاماء . فتادروا بالفحش وأكثروا الشعر في الاحاض والجون (١)
وإليك شاهدا آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية والامور المادية
في فنون الآداب : ظهر ادب العامة أو للشعر باللغة العامة في بغداد
والاندلس في عصر واحد ، ففي بغداد ظهر المراهلى على لسان
صنائع البرامكة من العامة ، وظهر نوع آخر ذكره ابن الاثير
صاحب الملل السائر قال : (بلقى ابن قوما ببغداد من رعاى العامة
يطرفون بالليل في شهر رمضان على الحارات ويتنادون بالبحور
ويخرجون ذلك في كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من
بحار الشعر المنتوعة عن العرب ، وسمعت شيئاً منه فوجدت به معاني
حسنة مليحة وان لم تكن الالفاظ التي صيغت بها صحيحة) ولكن
الشعراء والادباء استخفوا به واحتفروه فلم يقدروه ولم يدروا

(المبعة على صفحة ٢٥)

(١) وهناك سبب ثالث لكثرة شعر الجون فها الشعر ان شعراء ماكاوا
يمدون اشعارهم للشركاء في الميم وانما كانوا يقولونه في مجالس العامة فينبغة
الآلية ودون المرفوق فز انهم كانوا يقولون للشعراء شعر يجر من أكثر للشعراء .

من طرائف السمر

تطور في الجماد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

ما حياة قديمها غير باد
لها تبتى لها في نظام
واذا ما الجماد رثت قواه
وهي ليست اذا نظرت اليها
ولقد هلك الذي يتوقى
ولدتها الأرض الكريمة بكرا
ليس من الاجساد بالروح نجبا
انما الارض وهي مانع نسي
كوكب عظم يطوف من الشبه
كفراش يدور حول سراج
وعلى وجهها نهار وليل
كل ما في الوجود فهو لعمري
ولعل الزمان في دوره يح
وكان البحر نهر مديد
وكان الوجود فاض على الشط
وبراء الخدح شمساً تغافل
وأحاطت بما هنالك أسرا
من شدة الغمرض فيها بحار

جل كون قد حُفَّت باللاتامى
أترى أن ماله قدم في
عالم يخفى وآخر يبدو
وفساد يحى من بعده كور
ليس موت الآباء إلا ضياعاً
أنا في جوهرى قديم على الار
أنا جزء من عالم ماله من

ليست الأرض غير قبر موار
قل لمن طال في القراب كرام
غير الدهر كل عضو يحسى
لم تكن منى الصبا في شيء
ولقد حاقت في المصائب ترى
ولمن في حياته خالط النا

أى ذنب لي إن تباعدت الشف
كلما خالف الجماعة في الرا
ثلة منهم العيون ترى
عدني إن أردت في سعاد
انني في جميع ما أنا آت
أنا هذا ولست أقترى على تة
أنا بالشعر وحده مقل
واذا واقفه المنية قبل
واذا مت قبله فهو يرثي
أيها الناقد المهن لشعري
لا تحقر بنات فكري قلتم
حان ذلك اليوم الذي ليس توري
ما ألد الحياة لو هي دامت
حبذا عهد سالف لم أكن في

مزاياء الحجاب

للككتور محمد عوض محمد

رُويداً أنحزن أم تطرب؟
قدي قصة شأنها أعجب؛
قناة من الزفج تموى الرجال
وعنها رجال الورى ترغب
قضت زهرة العمر تفي الحليل
فاجاءها خالدي يحطوب

وقد صدّ عنها وولى القيراز
شبابُ نى الزنج والأشيبُ
ونقر منها بنى جننها
مُعَيَّنًا لها كالح مُرْعَب
وصوت وليس كصوت الكنار ،
ولكنه اليوم إذ تنعب
وأنت مدياً خروء كالجفان
ذباب الملا حولك تلب
ومن يشقى فوقه يشقى
كعقربة فوقها عقرب .
.....
وإذ يلى من بنى قومها
وعزّ لها فيهم المطلبُ
أنت أرض مصر ملاذ الغريب
وحيث لكل امرئ مهربُ
وأنت عصاما وقالت : وهنا
سأسى لأدراك ما أرغب ،
وقد أعجبت بنظام الحجاب
وما فيه من حكمٍ تُعجبُ
قالت : « حدثك ربّ الورى ،
لأن الوجوه هنا تحجب
ويُتدّل كل النساء النقاب
إذا ما رقيب أتى يرقب
فلا يعلم الناس ما تحت
أظف من اليد أم تلب
وهل وجهها مشرق فى القفا
ب أم غيب فوقه غيب ؟
وهل ساقها فوقها جوزب
أم الجلد من طبعه جورب ؟
وما لا تراه يحجب الأنام
فأنفسهم نحوه تجذب . »
.....
وقد صدقت : فراها قى ،
وأقبل من خلفها يدأب

رأها فأنجسه فدما
وقد بسحر القدر أو يخلب !
.....
يقال لها : يا حياى : ارحى
فى صادق الحب ، لا يكذب .
فكان السلام وكان الكلام ،
وكان القران وما يعقب

.....
وراجت بضاعتها وانثت
ومجذها تخرج ع محصب
وكم ملقة كسدت سوقها
وفى أرض مصر لها طلب !!

لقباء !!

للشاعر الشاب على محمود طه المهندس

طال انتظارك فى الظلام ولم تزل
عيناى ترقب كل طيف عابر
ويطير سمى صوب كل مرثية
فى الألق تخفق عن جناحي طائر
وترف روحى فوق أنفاس الربا
قلعها نفس الحبيب الزائر !
ويغف سمى إثر كل شعاعة
فى الليل تومض عن شهاب غائر
تلعل من لمحات فرك بارق
ولعلها وضع الجبين الناظر
ليل من الأوهام طال سباهه
بين الجوى المضى وهجر الخاطر
حتى إذا هفت بمقدمك المنى
وأصغى أسترعى انتباهه سائر
وسرى النسيم من الخائل والربا
شوان يبق من شذاك العاطر
وترجم الوادى بلسل مائه
وتلك حمامة شبد الصافر
وأطلت الأزهار من ورقاتها
حيزى تعجب للريح الباكر
وجرى شعاع البدر حولك رافها
طرباً على المريج النصير الزاهر
وتجلت الدنيا كأنها ما رأت
عين وصورها خيال الشاعر
ومضت تكذبى الظنون فأنتى
منمماً دقات قلبى النائر
وإذا بانى الروض تملأ خاطرى
سحر وأملأ من جمالك ناظرى !
متعاقبين على الزهور ونحن فى
شك من الرؤيا وحلم ساحر
غنا عن الدنيا وغابت خلفها
صور لماض لا يغب وحاضر
(البقية على صفحة ٢٢)

في الأدب الشرقي

الأدب الفارسي والأدب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاستاذ بكلية الآداب

٢

ولا نفي بعد - أن اللغة الفارسية بقيت لغة السواوين الحالية في إيران حتى زمان عبد الملك بن مروان .

ولا ريب أن اللغة الفارسية بقيت لغة التخاطب في إيران بين العامة والاقبال . ولا سيما في القرى والنواحي البعيدة ، فانا قد وجدناها منذ القرن الرابع تترقى الى أن تكون لغة آداب ؛ واللغة لا تموت جملة واحدة ولا تخلق جملة واحدة . على أن حكماً من الدلائل يثبت أنها كانت لغة الكلام في هذه الفترة أي قبل عصرها الإبداعي الحديث . وقد انتقلت منها كلمات كثيرة الى البلاد العربية مع التازحين من الفرس وتأثرت بها لهجات بعض العرب .

فرحل عبد الملك بن مروان الى المختار بن أبي عبيد خنينا جاءوا مسكر ابن الأشعث لم يسموا كلمة عربية ، وعبد الله بن زياد وهو أمير عربي كانت فيه لكثرة فارسية (أخذها من زوج أمه) - والفرس الذين عرفوا العربية لم يخلصوا من لغتهم ولهجاتها - وقد روى الجاحظ أن الحجاج قال لثعالب فارسي : أجمع الدواب الملية من جند السلطان ؟ فقال : وشربكاتنا في هوازها وشربكاتنا في مدائنها وكابجى . تكون . قال الحجاج : وعك ما تقول ؟ فقال بعض من كان اعتاد سماع الخطأ وكلام الملوك بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول : شربكاتنا بالامواز والمدائن يسمون البنا هذه الدواب ونحن نسميها على وجعها . وأبو مسلم الخراساني على فصاحته التي جعلت رؤية ابن الحجاج يقول ما رأيت أعجباً أصبح منه - كانت لا يستطيع التطق بالثقاف - وقد روى المزيخون أن إبراهيم الإمام حيناً أوصى أبا مسلم قال له : وان استطعت ألا تبقى في خراسان لساناً عربياً فافعل - بما يدلنا على أن لغة الجمهور هناك

كانت فارسية . وبعد الشاعر العماني بنطع بذكر الألفاظ الفارسية في مدائح الرشيد

ويحدثنا الجاحظ أن لغة أهل البصرة بل لغة أهل المدينة كان بها كثير من الكلمات الفارسية في أيامه ، بما يدلنا على بقاء الفارسية وتأثيرها البعيد ، ويحدثنا أيضاً أنه سأل خادماً له الى من أرسل هذا الكلام ؟ فقال الى أصحاب السند فقال يعنى النعال السندية .

وأما في كتب الأدب كثيرة . ولا مر ما ناز النزاع منذ أيام أبي حنيفة على قراءة القرآن بالفارسية ، ثم يابك الخرمى كما يؤخذ من القهرست كان لسانه متعقداً بالأعجمية و (بما أفريد) الفارسي المتني على عهد أبي مسلم لما أراد أن يضع لأتباعه كتاباً وضعه بالفارسية . وأنتم تعلمون ما دخل العربية من الفارسية لاسيما في أسماء العلوم والاثاث . هذه جملة تثبت أن اللغة الفارسية لم تمت في هذه الفترة ان كان هذا في حاجة الى الاثبات .

وأما الفرس أنفسهم قد خلطهم الفتح والاسلام بالعرب ، أى خلط ، فالقبائل العربية انتشرت في الأرجاء الفارسية ، والفرس انتقلوا الى البلاد العربية أسارى أو مهاجرين طلباً للرزق أو العلم أو المناصب . فالمدينة على تأيها كان بها فرس ، وهم قتلوا هناك عمر وسعيد بن عثمان بن عفان .

وسرعان ما تعلم الفرس العربية وشاركوا في العلوم الإسلامية . ولكن كان للفرس قبل قيام الدولة العباسية حال تختلف عن حالهم بعدها كل الاختلاف .

كانت دولة الأمويين عربية وقيل من غير العرب من سموا فيها الى الدرجات العالية ، وكان العرب ، لأنهم أصحاب الدين والدولة ولأنهم الذين أقاموا الملك ونشروا الدين ، يرون أنفسهم أجدر بالرياسة وأولى بالشرف على ما كان فيهم من الاعتداد بأنفسهم والفخر بأنسابهم منذ أيام الجاهلية . فخط الفرس من أجل ذلك عليهم ، ولكن الفرس لم يكونوا قد آفوا من دهشة الفتح الإسلامي ولم يكونوا قد تمكنتوا في الاسلام واللغة وامتزجوا بالعرب امتزاجاً يمكنهم من منافسة العرب ، وما كان العرب قد ضعفوا وتغيروا وتفرقوا في الأنظار . بقي الفرس ساخطين فاستعان بهم الثأرون

على الامويين ، فكانوا عونا للخيار بن أبي عبيد ولحد الرحمن بن الاشعث . فكان جيش الخنار من الموالي إلا قليلا . وقد غلب العرب عليه اذ استعان بالعتقاء من الموالي ثم أعطاهم حظهم في الغنائم . ولما قال وصل عبد الملك لابن الاشعث : أجبته نقاتل جيوش الشام هؤلاء ؟ أجاب ما هؤلاء . إلا أباء أساورة الفرس .

واذا نظرنا الى أن جيش الخنار كان أول من ثار الحسين بن علي وقتل من قتله عرفنا أحد الأسباب التي جمعت بين التشيع والفرس . منذ أمديع . فقد كان العلويون والفرس سواء في كراهة الامويين فتحاربوا . حامت الدعوة العباسية وقد نبأت الأسباب لبأخذ الفرس مكانهم في الأمة الاسلامية فكانوا أخضر دعاء هذه الدولة والهم يرجع الفصل في إقامتها . وقد رأى نصر بن سيار في هذه الدعوة خطراً على العرب والاسلام فقال فيما قال :

نعمى عن رحالك ثم قولى على الاسلام والعرب السلام
كانت الدعوة العباسية خططا من الدين والعصية الفارسية فابو مسلم كان فارسيا مسلما غيورا مخلصا . وقد أسلم من أجله كثير من دعاة الفرس . وهو الذى قتل المنفى الفارسي سر (به أفريد) حين انتهز فرصة الدعوة فقام يحيى الزردشتية : وكان أبو مسلم قد دعاه من قبل فأسلم وسود . هذا الفرج يمثل حتى في تسمية أهل خراسان الزمخاني الذين خرجوا بها لنصرة العباسيين : كافر كوب . أى مضارب الكفار فهو اسم مركب من كلمة عربية متصلة بالدين ومن كلمة فارسية . وما يتعك به ما قول بعض الشعراء :

روضى وقع الاسنة وللقنا وكافر كوبات لما عجز قد
بابى رجال ما كلابى كلامهم بسمونى مرداوما أثار المرد ؟
ومما يكن فلا أخال البيروني قد أخطأ حين سمي الدولة العباسية دولة خراسانية شرقية .

كان للدعوة العباسية وما عقبها من قيام الدولة - نتائج كثيرة . وانما ينبغي منها ما يتعلق بالفرس . فقد انتشرت الآمال في نفوسهم . ومكنت لهم في الدولة وخطتهم بالعرب خططا تاما . وكان من مظاهر هذا الانتصار في بلاد الفرس ظهور دعوات دينية جديدة وثورات : (به أفريد) انتهز الفرصة لوضع دين قريب من الزردشتية . فاعجله أبو مسلم وقتله . وقد أعجب الفرس بأبي مسلم أينما مضى . فلما مات أنكر الملية موته وقالوا انه اختفى وسيجيئ . مهديا من بعد . ومنهم من قال انه نبي بعثه زردشت وإنه لم يمت كما لم يمت زردشت . وقد دنا الى هذا داعية في بلاد الترك يعرف باسم اسحاق الترك ولكنه فارسي . وقام صديق من أصدقاء أبي مسلم اسمعيل بن بزلان أبا مسلم اختفى في صورة حمامة يضاد . ثم يعلن أنه سيذهب

لهدم الكعبة انتقاما لصديقه ، وقد جمع حوله زهاء مائة ألف ولكن ثورته لم تلبث طويلا . وثبت ذلك ثورات يوسف البرم والقتع الخراساني على مزدك . وبابك الخرس . وأكثرها مصحوب بذكرى أبي مسلم . ثم جاء الفرس فقتلوا ما فعلوا وكان منهم ابن أذكى الذى شرع لهم أن من أطعنا لاريد طاعت بده . ومن أطعنا هبفه قطع لسانه وهذا من أثر الزردشتية . كل هذه مظاهر تحتاج الى شرح واستقصاء ولها دلالتها على بقايا العصبية الدينية والجنتية في فرس الفرس . هذا في بلاد الفرس . وأما أثرهم في سياسة الدولة وفي حاضرة الاسلام بغداد فقد كان لفرس الرجحان على العرب عند الخلفاء . منذ قيام الدولة . وقد بلغ الأمر غاية حين تنازع الامم والمأمون . فكان المأمون في مرو من أقصى خراسان أشبه بخليفة فارسي . وقد أعماه الفرس على حرب أخيه الذى كان يمتاز بالعرب .

وروى أن أول شعر فارسي نظم في مدح المأمون كان إذ ذاك . قلنا غلب المأمون تحت القبة للفرس . ثم استمروا ميطرين على الخلفاء حتى أدبيل منهم لآتراك المهتم : حتى إذا قامت الدولة الفارسية ملك بنوويه بغداد الى أن كان طور السلطان التركي فأدبيل منهم للسلاجقة . ساس الفرس الدولة على قواعد الساسانيين ، وقلة الخلفاء وغيرهم الفرس في ملابسهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم : أمر الخليفة المنصور أن تلبس القنصرة الفارسية . واتخذ هو ومن بعده الخلفاء المذهبة على الأساليب الفارسية . وقد أبقي الزمان من نفوذ الخليفة المتوكل ما يظهر هذا الخليفة في مظهر فارسي كامل . ومن الكلمات الجامعة في هذا ما قاله المتوكل حين أراد اصلاح السنة المالية ورد التبروز إلى مكانه من العام فحضر المويد ليستمع به . فقال الخليفة قد كثرت الخوض في ذلك ولست أتمدى رسوم الفرس . وسأله وأبى في الاصلاح .

« تنبع ... »

لقبا !!

(بقية المنثور على صفحة ٢٠)

حتى اذا سان الرجل هتفت في فوقفت واستبقت خطاك نواظري
وصرخت بالليل المودع باكيا والدمع يشفع ل وأنت مفادى
بالتنا لم نصح منه ولينا ما أعجبت رضى الزمان البائرا

ولقد أمت بعد اللبال واتحضت وكأنا في الدهر لم تزاور
مذلت من عطفك لذيك ورقة بحنين مهجر وقسوة هاجر
وكأنتى ما كنت إلفك في الصبا يوما ولم تلك في الحياة مناصري
ونصبت أنت . وما نصبت وإنتى لا عيش بالذكرى ، لسلك ذا كرى

الخلاص

للشاعر الهندي رابندراناث طاغور

من كتاب شهر حديته بعنوان الزهور القديمة

ترجمة الأستاذ عبد المسيح وزير

الأستاذ عبد المسيح وزير أحد كبار العرفى قلبك الذين يبعثون شعور
الطبيعة الحسية بصدق ولذة وهو المرحوم المولود في السبعينيات ، وصاحب
الأثر العبد والمصنفات الفكرية ومضى أكثر من نصف الألفية العشرة

تحل العاشقة المنكوبة في حبها إلى حديقته أزهار تفتحت
عن روائح زهرها فتجل لمشورتها الراحل ثمالات من طين يبرد
روبدأ رويدا في شبه الصورة المحفوظة في ذاكرتها .

تغرس في التمثال ثم تحرق إلى الماضي فيجول الدمع في عيها .
وفي كل يوم ينزل ظل متكاثف يكتف الصورة المتوشة في
لوح قلبها ، فالرسم الذي كانت تراه بالأمس بارزاً جلياً تلفيه
اليوم متضائلها . وكما تطلق الزينة وديقاتها ليلا تسدل
العاشقة السار على ذكرى غرامها

تور سورة غضبا على نفسها . ويأخذ الحبل مأخذه كله منها .
تتعمد إلى التفتف . تفتش على النار والماء . وتنام على أديم
الأرض .

وكما دنا التمثال من الكمال عد عن شبه الصورة المكونة
في ذاكرتها . ويخيل إلى العاشقة أن ذلك التمثال لا يشبه صورة
إنسان على الأرض . ولكنها تتحدع نفسها تحبب شبه الحبيب الذي
قدته إلى الابد

تعد التمثال مع عبادتها الزنايق . وتوفد حوله مرجا مصوغة
من ذهب . فيبقى المكان بالرائحة المتعة من زيت المرج .
وتتراكم الأزهار والشروع يوما فيدما حول التمثال إلى أن يجتثى .
يتقدم إليها طفل ويقول : « نريد أن نطلب منها »

— « أين ؟ »

— « بجانب ديبك »

فتجيب قائلة : « لن أسمع لتقديم بالدفن من هذا المكان »

ويقول طفل آخر : « نريد أن نطفع عرس أرمارك »

— « أي أزهار تريدون تطفئها ؟ »

— تلك الزنايق القرينة من الدمية الكبيرة .

فتقول له : « لن أسمع ليد لمس تلك الأزهار »

ويطلب إليها طفل آخر قائلا : « أخرجني ذلك السراج وأنيري
حيثا » فتعرض طلب الولد قهولاً : « لن ينقل ذلك السراج من مكانه »

يتوافد الاطفال عليها أفواجا أفواجا . فتصت إلى هنرمتهم .
وتشهد نواحيهم في مرحهم وجدلهم . فتسترق في التأمل هنيهة .

ثم تنته من غفلتها مذعورة فتزود وجنتها خجلا

بعد ذلك يفتح معرض في المدينة المجاورة

فيزورها شيخ طاعن في السن ويسألها قائلا :

« ألا تراقيني أيتها الحية إلى المعرض ؟ »

« أتى لا أستطيع ذلك »

وتهرع إليها فتاة تنادها قائلة : « طلي بنا إلى المعرض »

« لا أتمكن من مرافقتك . لأنني لا أستطيع الاستماع من لحظة

أضيقها في سبل ذلك »

ويملك طفل بهيب ثوبها متوسلا إليها بقوله : « خذيني معك

إلى ذلك المعرض العظيم »

ولكنها لا تستطيع الانقطاع عن تأمل مبة قلبها طرفة عين .

وفي جتون الليل تسع صوفا كهدير الرعد . لأن مئات

الزوار والرفهم يمززون القرية في طريقهم إلى المعرض

وعندما تبقى من ثوبها يسكت وقع أقدام الزوار تغريد

الطيور . فتشمر برغبة في الذهاب إلى المعرض ، ولكنها تذكر

آتذائها لا تستطيع ذلك . إذ ليس في وسعها أن تحمل عبادة

الهما - صم عشيقها الراحل - يوما واحدا .

وفي الصباح تكرر مسرعة إلى الحديقة .

فأين الصنم . يا ترى ؟

يمر الزوار زوافات بالقرية وقد عفا أثر الحديقة واختفى

الصنم . أما سبل الرجال والنساء الجارف فلا يقف لحظة عن جريانه ،

تاجي نفسها في قلب قائلة : « أين سيبي ؟ »

فيهرس في أذنها هامس قائلا : « هوبين عابري السيل

هناك ! »

وفي هذه اللحظة ذاتها يقدم إليها طفل ويقول لها : « خذيني

معك »

« إلى أين ؟ »

« ألت فاهة إلى المعرض »

« بلى . أتى لذهابة »

تجزر حديقة الأزهار وتنعم إلى قامة الزوار ، لأنها وجدت

قيدها المنشرد بين الاحياء .

في الأدب العربي

القرية المهجورة

للشاعر أوليفر جولدسميث

أوبرن، باجة في سفح وادينا، يأنفحة النحر من فردوس ماضيا
حيث السعادة للحصاد (١)، عافية تشد منه، وخيرات أفانينا
وحيث تبدو براكير الربيع بها غيسا قس أن تغشى البساتينا
وحيث يخلف فيك الصيف هجته زهرا يرف، وأطيارا تغينا
معاهد كنت أغشى في عرائشها ترى بلهية (٢) قطاب أردانا
مقاعد من شباب كل مرح سقيت فيها الهوى والحر خالصانا
جمرت ذيل شباق في خنائها تها، ومليت فيها اللهب ألوانا
حيث السعادة فيها وهي وادعة تفر من كل شيء فوقها هانا

لكم زوقت لأستلي مناظرها واملأ العين سحرا حد محتلس
أشاهد الكوخ في أظلال أيبكه والجندول العذب يجرى غير محتبس
وألح اليلة الزهراء مشرة من سفح راية في دجلة الغلس
أصنى إلى الليل والظاحون صانحة والطير تشدو بصوت ناعم الجرس

هناك في دغل هذا الدوح كم أنست فيه الطفولة غنى من مغانينا
كانت مطاف الهوى في حبيب عزلتها حينا، وكانت عطافا للأنس حينا
كم حمل النعم من أطرافها عبقا تساجل الشيب أو همس المحبينا
وكم حمدنا يوم اللهب مقدمه فيها لنحي بها أصفى ليلينا

يوم ترفه عنها النس مائقت من المتاعب في رفق وإبطاء
ويجمع الحاصدون الفرش لهم في ظل فيانة الأغصان فرعا
تجويهم حلقات من شياهم فيرقصون على المزمار والناء
يناجزون من الألعاب أوعيا والشيب يلحظهم لحظات إغراء

وإن يمل من الألعاب حبيبتهم استأنفوا طارفا في اللهب وانعمروا
كل يناق في صبر وفي جلد ريفه - ليقال الغالب الظفر

(١) أصل هذه الكلمة swain ومما جاء لكنا لم يجد في اللغة العربية لفظة مرسية
فأغير ملاح فاستلما لفظة حصيد (٢) المصدر بها مكان اللهب والند

وي تداول في الآفاق سيرته وينشر الخى ما أبدى بشهر
قد استحف بما يلقاه من تعب والترب يعلمو جيا معه والمعمر

يباترى سائرا في القوم مقتبلا يروى النكات لهم والكل متعج -
بتلو عليهم طريفا من وادعه حلوا يكاد مع الأرواح يخرج
ورب ساجية الأجفان فاته ظلت ترانته منها أعين دمع
وتقمم الأم ما ترنمى فحدجها حدج الملامة في صمت فتزعج

أها لهدك يا أوبرن، أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا
هدى المفات كانت في ترادها توحى إلى قلب أهليك الهوى الشغفا
على خنائها فاضت سرائرها سحرا - ورفت على أدغالها طرعا
مفاتن أذوت الأيام بهجتها وصيرتها الليالي لللى هدفا

أوبرن أين تولت من مغانيك هدى الملاهي وفرت من روايك؟
لقد تمشت يد العاق عليك فلم ترحم قلوب الخزان من أهالك
وقد علاك شعوب من تسفها ووحشة قد تمشت في مراعيك
بأي حكم زمان صار يحكمها فرد - وكانت ترانا في أوالبك

كانوا جيما - فأمسى بهم بددا والربيع أقوى - وكان الربيع مانوسا
والسبل لم يبق فيه بعد نضرة إلا بقية زرع كان مفروسا
والجندول العذب لم ينصرتألفه كما عهدنا - وفيه اليوم معكوسا
لكن سرى وهو بالاعتباب غنى يتفق بجراه بين القباب محبوسا

وفي مفارجك الخضراء حل بها ضيف غريب من الأدغال قد هنأ
هذه وه الرخم يبنى وكرد ويرى مستكنا في ذرى الأغصان مشرقا
وفي طلوك تدوى اليوم ناعة تمل بصوت كتيب ماضيا ملقا
أها لهدك يا أوبرن أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا

هدى خنائك الخضراء ذابرة حانت ما هجها - دالت دواليها
توانبت هونها الأعشاب هائشة والحمل أصبح ضيفا راعيا فيها
واليوم أم لك شي خوف ووجل من طش مفرد الأحكام طاعيا
تبدلوا عيش أرض غير أرضهم وبدلوا ود أمل غير أهليا

تبع ... م ع . المشرى

نفسية قطرة

للكاتب الفرنسي تيريل جوتييه

نقلها عن الانجليزية الاستاذ احمد امين

طغى بضاء الصدر . قرطبه الأنف . ورفاء العين . يعيش ممل على خير ما يكون الصديق لصديقه . ان عمت نامت تحت قدمي . وان جلست على كرتي أكتب جلست هي على مكتبه تحلم . واذا مشيت في الحديقة تسقى . واذا أكلت راحتي . فحالت . أحيانا . بيني وبين لقمتي . استودعي ذات يوم صديقي لي ببناء . أحضر ريثما يعود من سفره . فاستوحش من منزلي . وشعر أنه غريب . فسلق القمص حتى أعلاه . ثم جثم ساكنا مرتندا .

وكانت قطتي لم تر ببناء قط . فكان مخلوقا جديدا أمام عينيها أدهشها منظره . فكانت أشبه شيء . بقطة عظيمة من آثار التراجع . واستقرت في التأمل كأنها تستعيد في ذاكرتها كل ما دوسته من التاريخ الطبيعي على سطح الدار وفي حديقة المنزل ! وكان ما يدور بفكرها يجعل في نظراتها حتى لا تستطيع أن تبين من عينيها خلاصة أفكارها كالوركانت تمير بقول بلع و منطق فصيح . كانت كأنها تقول : وليس هذا المخلوق دجاجة خضراء . ولما بلغت من درسا هذه النتيجة تركت المائدة حيث كانت ترصد البناء . وريست في ركن من أركان الحجر مبسوطة الذراعين مطرقة الرأس منطوقة الظهر . كأنها تمر برص غزالا ورد القدير .

كان البناء يتبع حركاتها في اضطراب . وقد غش ريشه ورفع ساقه المرتعشة وسن مفارعه على إفاته الذي يأكل فيه . وهذه غريزته الى أن هناك عدوا يدرك الكيد له .

ثم أخذت القطعة تسدد الى البناء نظرات حادة وهو ينظر اليها فاحمها حتى الفهم ما يحول بخاطرهما . فكانت كأنها تقول : لا بد أن تكون هذه الدجاجة لذيذة الطعم على الرغم من أنها خضراء . وكنت أقرب هذا المنظر باهتمام موطنا نسي أن أتدخل عند الحاجة .

ثم دنت القطعة من البناء . وأنتها القرنفل يرتد . وعيناها تضيقان . وأظافرها تتقبض وتبسط . وعمودها الفقري يرتفع وينخفض . وأخذت تثنى نفسها قرب الحصول على طعم لذيذ . كما يثنى الشره نفسه اذا دعى الى مائدة صفت عليها ألوان الطعام النسي .

ثم انحنى ظهرها فعاة كما تحنى القوس في يد الرامي . وودت

ورنه فاذا هي بحجاب القمص . فأبصر السماء . ما هو فيه من خطر وقار . بصوت خاص رزين : . هل أظفرت بأجس ؟ . وهي كلمة نغمة الخفاء أن يقولها كما على سبده

فأخذ القطعة من الرعب ما لا يوصف . فلو أن طرولا دفنت وصحافا كسرت . وعضقات نارية . موت . ما روعت القطعة كما روعت من هذه الكلمة . ارتدت ادراك الى الوراء . وعنى وجهها . أنها عرت كل آرائها في هذا الطائر . وكان يحيل الى من ينظر اليها أنها تقول . ما هذا طائرا . ان هذا الانسان صغير .

هب السماء يقنى بصوت نعال . لأنه تحقق أن كلامه خير وسيلة يدفع بها عن نفسه

نظرت القطعة الى نظرة استهزام فلم يقنمها جواي . فحأت نفسها في فراشي ولم تتحرك طيلة يومها .

وفي اليوم التالي عاودتها شجاعتها معاودت الكرة على البناء . ولكنها لاقت في يومها مالاقت في أمسياء . فاعترفت بزيئها وقروث أن تعامل هذا الطائر باحترام كما تعامل الانسان .

العوامل المؤثرة في الادب

(بقية المنشور على صفحة ١٨)

ولم يأبهوا لاربابه . وحاول أحد الاطباء الادباء . وهو محمد بردايال الموصل ان يتكر نوعا جديدا من الادب اقتبسه من ادب خيال الظل فالف كتابا سماه طيف الخيال فحط عمله

واساقى الاندلس فابتدع عادة بن ماء السماء القراء المرشح وابتكر

ابو بكر بن قزمان الزجل . فطرب الناس له ما واعيوا بها واقبل امراء القريض وزعماء الادب على نظمها وجمعها فنبغ فيها التواضع واشتملت على روائعها الكتب فما السبب اذن في استهجان

البعثاديين لادب العامة وعزوفهم عنه . واستحسان الاندلسيين له وبرغم فيه ؟ السبب يعرفه المؤرخ الماحض هو ان بغداد كانت شديدة الاوستمطراطيه لانها موطن الاشراق واذى الاحساب الخائفو الثروة . فكانوا يترفضون عن الشعب ويستحقون مآذيه وذم ذكاته . ويحذرون من القضاة ان يتحلوا بجلية بغير راعى اسلوبه . ولكن الاندلس كانت ديمقراطية غنية كامريكا اليوم . فلم يمتزاحديها بالنسب لتساوهم فيه . ولا بالثروة لمعوم الرعا . فهم . وحين توزيع الثروة بينهم . فكانت منازل الخاصة والعامة متشابهة . واذواقهم وآدابهم متقاربة . لذلك لم يتأبه الشعراء والادباء عن تقليد الادب العامي وتدريبه .

« يتبع »

يلت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد ديفي

٣ (١)

(١) أيها . من أنت ؟ وهل لك من علم بطبيعتك ؟ أتدلين
لم خلقت وما هو واجبك في الحياة ؟ أتدلين أن الله لكي
يماقب الرجل — مخلوقه — على خطيئته الأولى اذ امنحت
يده الى شجرة المعرفة . ان يكون حبه لنفسه في كل زمان
وفي كل ادوار حياته غرت الاول . مهوم محب نفسه مهوم
بأن يرى نفسه .

(٢) ولكن اذا كانت ارادة الله شابت أن تسكني الى
جانبه أيها المرأة . أيها الرقيقة الرقيقة . ايها . أتدلين السر
في ذلك ؟ انما هو لكي يرى نفسه في مرآة نفس أخرى . انما
هو لكي يسمع تلك الأغنية التي لا يمكن أن تصد الا عنك .
ذلك الفيض الالهي الذي يتردد في هذا الصوت السدب .
انما هو لكي تقضي في أمره وان كنت له أمة . لكي تحكي
في حياته وان اخضعك لقوانينه .

(٣) في أتوالك المرحلة جبروت المستبد . في عينيك سيطرة
القوة ، وفي مراك امارة السلطان ، حتى لقد شبه ملوك الشرق في
أغانيهم نظراتك في هول وقتها بنزول الموت . كل يحاول
جهده ان يأتى من احكامك المتسرعة . على ان قلبك الذي
يكذب جارة مظاهرك سريع ما يخضع لضربات القدر من
غير مقاومة ولا دفاع

(٤) لعقلك وثبات كوثبات النزال ، إلا أنه لا يستطيع السير
من غير مرشد ولا معين . الارض تدمى قدميه ، والهواء يضني .
جناحيه وعينه يمشو بصرها عن ضرب البهار اذا سطع لألاؤه . واذا
اتفق أن سمع به الفكرة في دفقة من دفقات حاستها . الى
ستقر علوى اضطربت بها الرياح (٢) وعجزت عن ان تمسك
ففسا من غير خوف ولا حذر .

(٥) ومع ذلك فليس نيك ما فينا من خصائص الجبن إذ

(١) في هذا الجزء وهو غير مائي تقصيدة وربما كان غير مكتوب (متر) يعود
بالمعنى الى ذكر الجنية وأنها كأمراء في الرجل ثم يظن ان ذكر الملك في
الجنية ليتأرق منه ويحب حال الجنية وحال الام الانساني .
(٢) بها أي بالكرة وهي تحمل الخط على اجسامنا .

تردد صيحات المظلوم في قلبك ، وبدق بها نبضه كالارغن في
سكون الكيسة المطلق ، يتأومتا كما كأنه يرجع صوت ألم تنفاه
للحب الفاظك تحرك الجماهير ، ويده وعك تحمى آثار كل إهانة
ونكران للجميل . يمينك تهزين الرجل فينهض وسلاحه يده
(٦) اليك يحمل ان تنتهي كبريات الشكوى التي تش بها
النسرية الحزينة . عند ما تصبهم القلب بالموجدة ترى هواء
المدن يكاد يخنقه كلما دق ، ومع ذلك تسمو تهملاته الى مافوق
الدخان الاسود لتتعد كلمة واحدة نسمها بر صوح .

(٧) تعالى (١) إذن . ما السماء عندي إلا اطار تحيط بك عزرقه .
ويضغرك ضوءه ويحملك جداره ، ما الجبل إلا معبدك والقناة
قناة . المصفور فوق الزهرة لا ترعنه الرياح والزهر فلا ينبعث
أريجها وانطاز لا يجرى أنينه الا ليصفوا الهواء الذي تشتشقين .
ما الأرض إلا بساط لتقديمك الجيلتين كأقدام الطفل .

(٨) أيها : سأحب كل مخلوق ، وسأأمل في نظراتك
الحالة التي ستشر في كل ناحية . أضواها المتعددة الألوان
تتشرعها لذتها السحرية . وسكونها الضاحك : تعالى فضعي
يدك الطاهرة على قلبي الممزق . لا تتركيني وحيداً مع الطبيعة
لأنني أعرفها حق المعرفة لكي لا أفسدها .

(٩) أراها تخاطبي قائلة (٢) : ما أنا إلا ذلك الملعب الذي
لا تحركه أقدام اللاعبين . درجاني الزمردية وساحاتي
المزمرية وأعمدتي الرخامية صاغها يد الله . ههنا أن أستمع
إلى صيحاتكم أو الى تهداتكم بل ما أكاد أحس بالمهولة
الانسانية التي تمر فوق ظهري باحثة لها عن متفرجين يكبر
في السماء (٣)

(١) تعالى أي ياسين فير يعود الى انما مرجعه الاخير والى ينتهي اليها فانما بعد
كل شوط من أنواط شاعري (٢) يلوحظ القارئ كيف أن الشاعر بعد أن طاحم
حياة المدن في الجزء الاول ودعا حيث الى مجرما للطلب الى الطبيعة التي رخصها لنا
ومنا رانيا يعود فيها بما يدورما والواقع أن (دفي) لم تتخل له جباله عن وعلم انه
قد قضى حياته متزلا كأنه يرج من الحاج كما أنه لم يكن من عشاق الطبيعة وهو لم
يتزل المدن طول حياته ولم ير البحر الا في لحظ الثالث من عمره ولذلك كان منه
الفاعل الامكار وبخامة ما سلق منها جفاتي القوس ومن هنا كان شعره أوب الى
الطبيعة من الى أمثله آخر وهو لذلك يقول بيت المصور الذي سيراه القارئ بعد
قليل : انه أحب جلال الامم للبهري من لا يحب المدن ولا يحب الطبيعة . وانما يحب
التمس للبهري وما يسمى بها الحكمة . وأي مذهب أصل من الامم قد وضع القوس
الى المراتب العليا من الحكمة (٣) ليس غريب أن يصفه دفي السبل باليك وهو
الحائز على الاقدار حقاً أحسن الماوية عنه ما لا مزيد عليه في أول قصائده الا قبل
الليلة . الاقمار . والى ياسيناً تسلمت كل المسوعة كما عادتها حيا في قصيدته المشهورة
وحمل الزيتون . حيث يحكي جملة المسيح في جبل الزيتون بجانب بيت المقدس قبل
يوم الصلب وكيف انهم لم يحب من نصرته غير الصمت بل انما نجد في سوانحه التي

١٠) «فانا أطرى البشر بجانب من غير أن أسمعهم أو أبصرهم كما لا أميز بين أجعار النمل ومسحوق رفات الانسان. لا علم لي بأسماء الامم التي ألقاها. يسموتني أمهم وما أنا إلا قرم. شتائي يلثم أمواتهم قرباناً له، وريسي لا يستمع لصلوات غرامهم.

١١) «ولقد كنت قبل أن توجطوا دائماً مسطرة وجبة يوم كنت أترك للرياح شعورى المتحلة، وأسلك في السماء طريق المعتاد فوق قب الميزان ذى الكففات الالهية. فلما وجدت ذهبت وجدة في صمت رهيب أعبر الفضاء الذى تتقاذف فيه الكائنات، وأشق الهواء بجهتي وتدفق الناهدين».

١٢) «هكذا تخاطبني الطبيعة في صوت حزين متعال، وأنا أبغضها في نفسى وأرى دماً في أمواج مياهها، وجثث موفانا تحت حشائشها تبتدى صغيرها جذور غنائها. وأقول لعيني اللتين قد تريان فيها جمالا، حولاً نظراتكما الى غيرها، واسكبادمبا تكم على سواها. لكن حيكما لمسوف لا تريانه مرتين.

١٣) «أه أترى من سوف يشاهد جمالك وورقك مرتين أيتها الملك الشاكي الذى يتكلم بتهداته؟ ترى من سوف يوله مثلك حاملاً قلة كما نحلين فيما نرسله عيناك من بارقات النظر في ترجمات رأسك المنكسر. في هذا القند المضني الساكن في دعة الى فرائشه، ثم في تلك الابتسامة النقبسة التي تفيض بالحب والألم.

١٤) «عيشي أيتها الطبيعة، وعيشي الى الأبد فوق أقداما وفوق جبابنا مادامت تلك سنك؛ عيشي واحترى — ان كنت ربة حقاً — الانسان، ذلك العاير سليل الذى كان من المقدر أن يقوم عليك ملكا، فاني أحب جلال الألم البشرى فوق ما أحب ملكك ومظاهره الكاذبة. هبات أن تنالى منى صبيحة حب»

تركها في الجمرة السليم، وخاطر شاعر، ما هو المبلغ من ذلك في ساجد التضاء على والظلال على الله جلت عذوبته فتدكان في بنوي كما ذكر في إحدى تلك الخواطر بصور رواية يفتد فيها الأشقاء أمن يؤنس هذه الحاذق يوم تمت عكة بما كرون الله بها على أسماء الله لهم في الحياة ليعا كما ذكر في خاطرة أخرى فكرة رواية يكون محررها ان شأنا ينشر قولاً من شفائه ثم يأتي امام الله ليلته عن شأنا لاداء الصبر يجيبه لا تاتى لاداء الصبر بل السلك فتمت لاداء الصبر. ونحن نجد في رواية «شافرون» التي قد تهميراً لجأ للاعتزاز من ليعيل لانا انه يزينه ويدعو عليه وان لم يحسن فكرته نجس طه شافرون باللاه ويضع غلبنا مثل الحرار الذي اشار اليه في جريدته من يدري لعل هذه الفكرة كانت متوجعاً لشرع ورواية تامة تكمل ما تارتون

١٥) «ولكن أنت أيتها السائغة المتهاونة! أمارتدين أن تضعى رأسك فوق كتفي وتسلملى لأحلامك؟ تعالى تشاهد ونحن على مدخل منزلنا المتحرك من مرثون سيمر من البشر. لتوف تدب الحياة فيما يحمله الى الشعر من صور الانسانية عند ما تمتد أمام منزلنا آفاق الأرض الصامتة الى غاياتها البعيدة.

١٦) «وهكذا نسير غير تاركين وراءنا فوق تلك الأرض العاقبة التي مر عليها أمواتنا من قبل الا شبحنا. ستجاذب الحديث عنهم عندما تظلم الآفاق، ويحلو لك أن تسلكى سبيلا يحذوا لتتفرق في أحلامك مستندة الى الاغصان الضئيلة باكية حبك العايس المهدد كما بكت (ديانا) على شواطئ تبعا.

نحمد عبد الحميد مندور
محرر مجلة كلية الاطباء ياديس

oooooooooooo

الدكتور طه حسين

في الجامعة الأمريكية

سيليقي الدكتور طه حسين خمس محاضرات في موضوع «الشعر العربي في القرن الثالث للهجرة» ببناعة المحاضرات بالجامعة الامريكية في تمام الساعة السادسة من مساء الأيام التالية على النظام الآتي:

المحاضرة الأولى: يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣

الحياة الادبية العربية في القرن الثالث للهجرة

المحاضرة الثانية: يوم الجمعة ٣ مارس سنة ١٩٣٣

أبو تمام وشعره

المحاضرة الثالثة: يوم الجمعة ١٠ مارس سنة ١٩٣٣

البحتري وشعره

المحاضرة الرابعة: يوم الجمعة ١٧ مارس سنة ١٩٣٣

ابن الرومي وشعره

المحاضرة الخامسة: يوم الخميس ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣

ابن المعتز وشعره

ولهذه المحاضرات نذا كره خاصة بشحن قليل وتطلب المعلومات عنها من سكرتارية قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية بالقاهرة

القصص

على هامش السيرة

الفداء

للدكتور طه حسين

أصبحت سمراء محزنة كاسفة البالي تدور على وجهها المتجدد وجيها المنقطب كآبة مظلة، لم تحاول في هذا اليوم أن تخفيها أو تخفف من حدتها كما تعودت أن تفعل منذ أعوام وأعوام، فقد عرفت سمراء ألم الحزن منذ احترت زمزم، ومنذ ظهر حرم زوجها على الولد، ورغته في كثرة العدد، ومنذ خطب فاطمة المحزومة فأجبا وكلفها، وانصرف إليها عن كل شيء وعن كل إنسان، ومنذ كثر ولد فاطمة من البنين والنات واشتد ذلك حب عبد المطلب لها وكلفه بها، وانصرافه إليها، ونجايه من زوجه الأول تلك تأتي أضواء له سيل الشبايح وأغاثته على احتمال أهوال الحياة الأول.

سم عرفت سمراء ألم الحزن في هذه الأعوام الطوال من حياتها، ولكنها كانت على بدايتها امرأة لينة رقيقة الحال، زكية القلب، تعرف كيف تخفي عن زوجها ما يكره، وكيف تتفاد بما يجب.

وكانت تفرق بفضل هذه الباقة وهذا الذكاء إلى أن تستحيل إليها زوجها. وربما اضطرت إلى أن ينقطع إليها وقتاً ما وينسى زوجها الأخرى إلى حين، ولكن يوماً أقبل يحمل إلى سمراء شيئاً ليس قوة شر وأما ليس بهدوء، أصبح هذا اليوم مظلاً. فما أسى حتى أغلقت له حياة سمراء كلها، ذلك أنه مضى يموت ابنها الوحيد. فأذاها مرارة الكل والتم والترمل جميعاً. فقد كان الحادث لها ابتداءً عند قرة العين. وأباً تحسن منه المطلب وحزن الآباء، وكان هو جدياً لها، ويعرف أسرارها ويحميها في الطب لهذا الأم، فكان بالغ في رعاية أمه وحمايتها، وكان شديد الحرص على أن يلقاها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعلى أن يطيل المكث معها والتحدث إليها. يشركها في جد أمره ولعله يستشيرها في قبول مشورتها والاستماع لنصيحها. فكان يقرم منها في أكثر الأحيان مقام أبيه، وكان يعزبها معه وروى عما كانت تجد من الوحشة حين يصد عنها زوجها

فيطيل الصدود. طامات الحارث مات منه أسل سراً ولم تلق الحياة إلا بوجع مزون كتيب يصور قلماً مكرماً مظلماً وقد جرت سمراء لهذا الخطب واشتد جرحها، وطال. ولكن أي شيء بقي على الأيام! ولقد ذهب الأيام الطوال بعد هذا الجرح وشده، كما ذهب بصره شباب سمراء وكادته حياة أسوأ الحارث، وكادته حب زوجها عبد المطلب. وأصحت وقد تقدمت بها السن وامتنعها حوادث الدهر امرأة مدعنة لحكم القضاء، لا تسكر شيئاً ولا يبرها شيء. محزونة ولكن ودعاً ملأعة ولكن في هدوء.

وقد أحست انكار الناس من حولها لما يرون من حزنها وكآبتها. وما يجدون من انقباضها عنهم. جددت ما استطاعت وانخاض ما تجد وكتبت ما تحس، واحتفظت لنفسها بهذا الكثر الحزين، كثر الذكرى وما تثيره من العواطف وما تيجعه من اليأس. وتركت للناس من نفسها شخصاً عادياً يقيم حين ينسون، ويرضى حين يرضون، ويشاركهم في أكثر ما يجدون من عاطفة أو شعور.

على أنها كانت تجد شيئاً من الرضى وراحة النفس حين تجد من زوجها عطفاً عليها وأنساً إليها. وكان زوجها منذ أحاسنها هذا الخطب شديد الرق بها، كثير الزيارة لها يصفها مودة خالصة قوية. ولكنها حالة أو كالحالية من هذا الحب الذي يجي قلوب العما.

أصبحت سمراء في هذا اليوم محزونة ظاهرة الحزن، كشيء مادي الكآبة. أقل عليها إناؤها الثلاث يحينها تحية الصباح فردت عليها تحيتهن بدأ فائراً، ثم جلست وجلست وأخذت معزلاً لها وأخذت معزلاً لها، وعملت أيديهن في الغزل وسكنت ألسنهن عن الكلام. وكانت سمراء تدع معزلاً من حين إلى حين وتظل ما كته واجبة، وربما انحدرت من إحدى عينيها دمة حارة فأسرعت إليها تزيلها يدها دون أن تقول شيئاً. والامام صامتات ينظرن في حزن عميق إلى مولاتهن المحزونة. ولا تستطيع واحدة منهن أن تبدأها بالكلام. فلما طال عليها هذا الصمت وهذا الحزن وثقل عليها ما كن يجدن من ألم وما كان يملأ قلوبهن من حب للاستطلاع ورغبة في الكلام يميل إلى تعزية مولاتهن. اجترأت «باصمة» وكانت أشجعهن قلباً وأطولهن لساناً. لأنها كانت تعرف مكاتبة عند سمراء، فقالت: لقد أصبحت يا سيدتي على حال

ما رأيتك عليها منذ من بعد، فقد كنا نراك محزونة كثيرة ولكنك كنت تجاهدني الحزن وتداوينا بالكآبة وتكلفين الرضى، وكنا نجد من ذلك ما يجتمعنا على قلبك وتلينك بالحديث حياً وبالغناء حياً آخر؛ نقص عليك كل واحدة منا ما حفظت من أخبار بلادها، ونصبت كل واحدة منا ما حفظت من لغتها، في رطاتها الأعجمية. وكذلك كنت نسمين أنا صيص سوربه وأخرى حبشية وأخرى يمانية. وكنت نسمين أغاني في لغات أجنبية قليلاً ما تصحك ولكنها كانت ترسم على نورك الابتسام في أكثر الأحيان أما اليوم فلم نر منك إلا حزناً قائماً ولم نسمع صوتك العذب، ولم نرنا إلا هذه الدموع التي نضعها في صمت أليم. تكلمى بامولاني أي ما إذا تجددين؟ ماذا أحزنك اليوم؟ تكلمى وأخفى عليك بنا، فقد نمت طبع أن نصبح على الحزن كما كنا نطبع أن نمت في قلبك السرور. نحن إماما ولكننا نساء بعد الحزن كما تجددين. ونحس الورقة كما تحمينا، ولعل حنا للبكاء أشد من حنا للضحك؛ ولعل حرصنا على الحزن أشد من رغبتنا في السرور. ولعلنا أن شاركتك في الحزن والألم جازيا طائعا، وأرسلنا قوسنا على سجاياها. فليس في حياتنا وإن كنت لنا مكرمة ما يسر أو يرضى، وأى شيء يسر أو يرضى في حياة الأمة الفرية التي لا تفك نفسها! ولا تحس إلا ذل الرق ولا تستطيع أن ترضى حقاً أو أن تخط حنا إلا إذا دخلت إلى نفسها، وأنى لما أن تغلوا في نفسها تكلمى باميدق ماذا يسوءك وماذا يقضى وجهك بهذا الغناء الحزن قالت ناصفة ذلك وأظن أن تحبها سمرام ولكنها لم تقف بجواب، وأمارات دموعاً تحدرت ثم تهرثم تسجل إلى زفرات حارة ونجيب غير منقطع. هناك بها الحزن ما بين السيدة الحرة وإمامتها من فروق، فاسرعن إليها يديتها ويرقن بها. هذه قلبها، وهذه تصح معها وهذه تمر بها على رأسها. ومن جيماً لا يكون لها ولا يكون لأنفسهن. وقد هدأت سمرام بعض الشيء. وسكنت قلبها النائرة إلى هؤلاء الاماء الرفيقات فالتصمت لمن في حزن، وشكرت لمن ما أظهر لها من مودة وعطف، وطلت اليهن العود إلى ما كن فيه من عمل. وأحدث هي مغزها وجعلت تدبره في يدها ولكن ناصفة لم تلبث أن عادت إلى الكلام فقالت وهي تكلف الابتسام وتضع الضحك: ليس يقضى عنك الصمت بامولاني فانا نعلم ما نسرين كما نعلم ما تعلين. ولولا غرنا منك وإكبارنا إياك لقصصنا عليك القصة التي غزمتها نجرى دموعك الحرة على خدك النقي. ولكن أنى لنا أن نبلغ منك هذه المكانة وأما أمت جديدة ونحن إماما قالت سمرام كفى عن هذا الحديث يا ناصفة فقد أنصبت اليوم أن يبنى وينسكن فرق ما بين السيدة وإمامتها. ولست أرى منك الآن إلا نساء نصات مثلى. انما نحن أخوات في الشقاء والبؤس، وما يقضى أنى حرقوا ناساً مثلكم مقيمة على الضمير بمهمة اللذل مدعنة لصروف

القضاء. لا أملك لنفسى معاً ولا صراً ولا أستطيع أن أرح هذه الدار والى أين أرحها! لقد ذهبت غارة بنى أسد بأبى وأخى، وأصعبت أمى وأخواتى إماما مثلكن، لا أعرف من أمرهن شيئاً ولم ينهض فنان بن عابروكمهم للتأثر! ليت شعري ماذا يصع أبو ربابته! ماله لا بلاعب القذهب الموت بأبى وأصعبت أسيرة في يد عبد المطلب. أسيرة لا كالأسرى: يجهلون ولا يستطيع له بفضاً ولا قلى كما يعمل الأسرى. وانما أحبه ولا أبعد من داره نصرافاً، ها هو ذا قد عاد من رحله إلى الياس منذ ثلاث. فلما بلغ مكة أسرع إلى هالة بنت وهيب ففضى عندها أولى لياليه وأول أيامه لأنها أحدث زوجاته به عهداً. ثم أصبح فانتقل إلى قبة فأقام عندها يوم ما وليته. ثم أصبح فانتقل إلى فاطمة فأقام عندها يوماً وليتو ما أرى إلا أنه يقبل بدمع، فلم يذه الدار إمامة قصيرة ثم يسرع إلى هالة! فأشد شوقه إليها وقد حدث أنه أقبل من اليمن كأنه ما يكون الرحالة وأربع ما يكونون جمالا. وحدثت أن هالة أنكرته حين رآته فقد ودعنا أيضاً الرأس وعاد فاحم الشعر، كأنه لم يتجاوز الثلاثين (١). وقد أنكرته من القدر فريش كلها لما رأت من سواد لثته. ولكنه أزال العجب فريش حين أظهر لها هذا الحضاب الذي حمله من اليمن، والذي يرد الشيب شباباً، والذي أسرع فريش إليه فاشترت منه واختطب به شيها فإذا أهل مكة كلهم شباب. كل ذلك ولم أر عبد المطلب ولم أحسن منه ذكر إلى وحينئذ إلى. وماذا يصنع؟ ليس شاب هالة، ولا جمال قيلة، ولا ولد فاطمة وانما أنا عجوز قانية، يتيمة وحيدة ليس لها أب ولا أم ولا ولد، أنا هذا الخلل الثقيل. الذى يضيق به صاحبه، ولكنه يأتى أن يلقه وتخفف منه عناية أن يصفه الناس بالضعف أو القصور.

قالت ذلك وأغرقت في بكاء طويل شاركتها فيه إمامها الثلاث. ولكن ناصفة لم تلبث أن قالت: أهدا كل ما تعلين من أمر زوجك باميدق! أنك إذاً تجهلين كل شيء بولا تعلين إلا أقل أمره خطراً. وإن عدى من أمر سيدنا ما ألصقت عليك لأرضاك ولتغف لوعة الحزن هذه التي تحرق فؤادك الكئيب لن ترى زوجك اليوم بامولاني فهو عنك في شغل، لقد كان راضياً مسروراً حين كان يرى نساءه يتكرن سواد لثته ويعجن بشباباً الجديد. وحين كانت فريش تبتقى إليه تشتري منه هذا الحضاب بما أحب من مال. ولكنه محزون منذ أمس، مفرق في حزن لا فرار له، فهو خليق بالثرثاء. إنك تحبين باميدق وتستعين بإعراضه منك. وسترين له، وأنى أخشى أن تخفى إليه حين تفرقين بناء. قالت سمرام في شيء من الجرع بدأ هادئاً ولكنه لم يلبث أن اشتد قليلاً ليل حتى بلغ أقصاه: ماذا تقولين يوم تجددين؟ هو محزون! هو خليق بالثرثاء ماذا؟

(١) انظر ليليات ابن سعد صفحة ٥٢ ج ١. أول قسم أول

ابنني متى علت بذلك؟ وكيف أخبرت علي؟ ما الذي يحزنه؟ ما الذي يوده؟
 ما الذي يجعله أهلاً للرثاء؟ ما الذي يضطري إلى أن أخضله لأعزبه
 وأواسيه؟ فولي أسري، لا تخفى على شيئا. قالت ناصحة: مهلاً يا سيدي
 أو دعي نفسك ولا تاتى بها في الحيات كل مذهب، لا بأس عليك نفسه ولا
 في ماله، ولكه يمدد أسرى به. عوفي عليك إن في هذه الحنة لمرء
 فك عن فقدنا رثاء المرء. أنك كرم يرمحنا حتر وعزم قدر لنز أو في
 من الولد عشرة ذكر وأ... قالت سمراء: برام لصحين واحدا يونس
 هذا اليوم لقد عرفت هذا الفرو كان مصدر شقائي كله، عرفت أنه
 يستكثر من الماء ورأيت مديبه الصحية مدروسة إلى عتي قد تكون
 عتي ابن العزير. عند ذلك اليوم كرهت الماء جماً لأن رأيت في كل
 واحدة من ضرره. ومن ذلك اليوم رأيت شبح الموت مقبلاً على البيت ما
 أقام فيه ابني مفارقاً لهذا البيت ما أرفه أبني. ومن ذلك اليوم لم أر ابني
 في غلظة ولا في مودة إلا رأيت الموت له ظلاً، أتني حديثك باناصحة. قالت
 الفتاة: لقد ذكر زوجك أمس، هو يتحدث إلى فاطمة نوره هذا وذكر
 أن أبياءه المذكور... بلغوا أشرة أحياء برام بحوله طعله حمزة فاقسم
 ليوفين نوره. واحد حين أحداً بانه وليحبلهم نسخة من اليرم حتى تمهم
 له هالة أو ثقبه أو غمها عشرة أو تزيد بهم على العشرة. ولم يكده
 بعد هذه اليمين حتى حرعت فاطمة وشاركا بناتها في الجزع. أشفقت
 على الزبير وأني مثالب وعد الله وغيرهم من بنينا.

وبلغ الخبر فبدا افتعل الباس، وبلغ الخبر هالة فخرت على حمزة
 وتارت لكل امرأة نياتها. وألم الناس على الشيخ: تأني كل قية أن تكون
 اتصية منها. وهو الشيخ في محبة فجمع إليه بنيه وأبائهم نوره فكانهم
 أقروا أنهم أطاعوه وكلهم ألم عليه ليومين بالندر ولتقدم الضحية.
 وليس قريش، نداس حديث الاحدا لأهم يتأقروا ويكرهونه
 ويكرهونه وقيل منهم من يقر الشيخ على هذا العزم العظيم. قالت سمراء
 وحى مضطربة: ثم قالت الفتاة: ثم أقبل الشيخ بينه إلى الكعبة مع
 السبع فاجال فيهم. أحبه فخرج القدر على أحب بنيه إليه. وآثرهم
 عدمه قاله امرأة دسالت من عيبها دمعتان عرقان: خرج القدر على
 عداقه قالت الفتاة: نعم. فاختار الشيخ يدانه يوقوه إلى المذبح وفي يده
 المذبول كن بناته جبراً أو أمن نفس دور الفتي صامحات يستصرخن
 بخزوم ويستصرخن، قريشاً كلهم عن الفتي يحياهن. وأقلت احدا من
 إلى الشيخ ضارعة تائهة معاذلة إذا كان ذلك قد استحال إلى صخر فلا
 ترق لا ملك الشايع ولا لأمه الشيخ ولا لأخواته البنات. وإذا كانت
 شربة قريش قد قد... جعت وغلظت حتى جعلت للآباء على أبنائهم حق
 الحياة والموت كأنهم الرقيق أو الحيوان، فدعا تحتكم في هذا الفتي إلى رب
 هذا البيت هو أوسع من الشرحمة وأجدر منك أن يرض هذا الشاب على

الصياح. وإن برأ هذا الدم الذكي أن يراق تحتكم إلى رب هذا البيت في
 أمر هذا الفتي، لتخرج يديه من هذه الأبل الكثيرة التي ليس بها في الحرم
 ولتلقن من ذلك ما يرضى رب هذا البيت.

وكانت قلوب قريش قد نفطرت حزماً وتصدعت أسى لقول هذه الفتاة
 وهي تنكي، وقد انتزمت أخاها ناعوا فمضوا تمشي وجهاً ناصع بدمعها
 الغزير وهي تصيح: لا موت قبل أن تموت. فأرالت قريش بالشيخ تلايه
 حيناً ونحاشته حيناً حتى اضطرنه إلى أن يقبل بحكيم الآلة.

قالت سمراء وقد بلغها الطلع انصاف: ثم ماذا؟ قالت الفتاة ثم لا أدري
 تركتم يتأهبون لاجالة القدر من الفتي والأبل وأقبلت لأنص عليك
 التباقر أيتك فيما كنت فيه من حزن عميق.

قالت سمراء يونس لهذه الحياة لا يسعد فيها الناس بخير مما يكثر كل
 السعادة. ولا تشقى فيها الناس بشر مما ينظم كل الشقاء. أسعده أنا
 موت الحارث أم شقية؟ لو قد عاش لذقت الآن ما تذوقه فاطمة من هذا الحزن
 اللاذع والخوف المهلك ولكني كنت أؤثر مع ذلك أن يعيش قد
 كان يمكن أن تحط القدر، وقد كان يمكن أن لم تحط في المرة الأولى أن
 تخرج على الأبل من دونه وقد كنت أستمع بهاعوا ما، ولكن هلم لا مقام
 لنا الآن لنسرع إلى حيث هم لنشاركهم فيما يجدون. واحرثاه إني
 لصادقة الحزن! إني لصادقة الخوف! إني لشديدة الاشفاق! إني لشديدة
 الرجاء. ولكن فاطمة ستظن في سوء أو مستقد أني أقبلت غير بريرة النفس
 من الشهامة، قالت ذلك ونهضت يدنها حزناً الخالص ويردها خوفها من
 سوء الظن ولكنها أسرع مع ذلك وأسرع معها إياها. ولم تكده تغتم
 في الطريق نحو المسجد حتى سمعت أصواتاً ورأت اضطراباً ثم
 تبست في الأصوات فرحاً ورأت على الوجوه بشراً، وعرفت أن القدر
 قد خرج بعد لأى على سائمه من الأبل. وإن عبد المطلب يؤذني الناس
 أنه سينحر هذه الأبل بين الصفا والمروة، وأنها حرام عليه وعلى
 هاشم، مباحة لغيرهم من الناس والحيوان والطيور.

فأسرعت سمراء حتى اختلطت فاطمة وبناتها ومن سائرات جن
 بالفتي ويحمن بينه وبين غيره من الناس، حتى إذا بلغن البيت ألقين
 فيه امرأتين تكيان احداهما هالة بنت وهيب أم حمزة وزوج عبد المطلب،
 والأخرى بنت عمها القيمة آمنة بنت وهب. هنالك أقبلت سمراء
 هادئة ماسية إلى الفتاة فكفكت من دموعها، وضمتها إليها وفلت
 جبينها الطلق، ثم التفت إلى عبد الله وهي تقول: هلم باقى قبل أهلك
 فيما نقل لها في المهر فلن تلج هذه الدموع التي ذرفت من أعينك، ثم
 نظرت إلى فاطمة وهي تقول: ألا ترى أنها أحق قيات قريش أن
 تكون له زوجة!

طه حمين

الرجل صاحب الكلب

قصة مصرية : للأستاذ محمود تيمور

حدثني الراوى قائلا :

عندما كنت طالبا في مدرسة الزراعة بالجيزة كنت أتردد في أولئك فراغى على قهوة صغيرة بالقرب من الشارع العمودى يجرى بجوارها جدول صغير وتهدل فوقها أغصان شجرة عتيقة . وكنت أعتبرها حلقة الاتصال بين الحضر والريف أو بين المدينة والحياة الساذجة البدائية . فيها تكون جالسا في مقعدك البسيط تشرب القهوة في هدوء ونسفى ال خريف الماء وتشم رائحة النبات اذ بك تسع دوى ترام أوسيارة ويمتلئ أنفك برائحة البزير والتراب . وكان يتردد على هذه القهوة رجل بدين الجسم كروى الوجه أنف أطلس وعيون صغيرة بلبس دلالا من المعطف حرمة من اللون الأورق الكالغ وراف رأسه بشال قديم مهليل . وكنا في ذلك الوقت على أبواب الشتاء . وكنت ألاحظ عليه مظاهر الجريئة . واعتقدت أنه من أبواب المعاشاة الفقراء . وأذكر أننى لم أذهب الى القهوة مرة واحدة ولم أجده . أراه دائما في ركة المعبود بجوار باب القهوة متعذرا في جلسته يذخن النارجيلة ويحسبى القهوة ويرزق بين فترة وأخرى على الخادم يهدير اليه أوامره الممضة . يصحب معه دائما كلبا أسود يشع الهيئة من فصيلة الأرمنت . يزعم القهوة بباحه الثقيل . كان سيده يبالغ في تدليله والاعتناء به . ويكلمه ببعض كلمات الإنجليزية لهجة سقيمة لا تتعدى قوله . يكلم هير جيسى كام هير ماى دير (١)

ولا أدري ما الذى دفعنى الى أن أقسم بهذا الرجل وكله وأدق في ملاحظتى إياها . مع تقوى سها .

ودعيت مرة الى القهوة فرجدت عروبا مانح الأخذية يتشاجر معه . وكان الرجل يشتم الغلام بصوته المريض الوقع وهو متفخ بالأوداج محمر العين يصفق أمامه بصقات متوالية . ورأيت الكلب يبلع ملح الأخذية بشدة ويجذب بأسنانه طرف ثوبه . فتعاشيت التداخل بينهما وقصدت الى مكانى بجوار الجدول ومعنى كتاب الزراعة المفكرة لأذاكر فيه . وجاء صاحب القهوة خشم الخلاف وشتم عروبا وأرضى الأقدى ببعض كلمات لا تخلو من تملق . وترك الكلب ثوب الغلام وذهب الى سيده فنظر اليه مليا وهو يصبص

(١) قال هنا يا جيسى قال ما يا غريزى

بذنبه ثم تمد تحت أقدامه ونام .

وجاء عويس يسمح لحذائى كالمتاد فندت له قدمى في حركة آلية غير ملتفت اليه وانشغل الغلام بالمشح وأنا بالتفكير وبعبارة خاطت عربا ووجهى لا يفارق الكتاب .

— من يكون هذا ؟

فأجانب وهو منهمك في عمله

— واحد حكيم لا طلع ولا نزل . يدعى أنه كان حكيما شئى في الجيش في الزمن الماضى

— والآن ؟

— على الماضى

ثم رفع رأسه الى وقال :

تصور يا به أنه يريد أن يعطى قرش تعريفى واحد في مسح حذائه ووضع شريط جديد له . برأى جزمة هذه التى مسحها . وبين لا يورك اؤ كذلك ان الوردنىش لم يسها منذ ان كان جنابه في الجيش . .

ولاحظت على الرجل انه يبارقنا النظر فاردت أن أحول مجرى الحديث ولكننى لم استطع اذ كان عويس قد اندفع يقول :

قرش تعريفه واحد نظير مسحة وشريط جديد . الله الفنى ياسيدى .

مداخلاف الخدمات التى اؤديها له بدون مقابل . ولو كان شخصا فقيرا لقنا نخدمه لوجه الله ولكنه رجل عاكم . عاكم تمام .

وسمعت الحكيمباشى يصق بشدة على الأرض فخفف عويس من حدته وهمس قائلا :

— تصدق باقه لو ذهبت الى حه فطنت انك في مزية أو مرتبط بهائم .

لم كل هذا والدنيا آخرتها موت . فضك واردم على هذه السيرة . .

ورغبت عن القهوة بضعة أيام . وبينما كنت مرة في الترام منهمكا في

في قراءة البلاغ اذ شمرت بشخص يدخل العربى . وكانت مزودة

بالركاب . وبحشرقه بين الجالسين وسمعت هممة استياء من كل

ناحية . ورفعت بصرى لأرى من الداخل فوقع بصرى اول وهلة على

كلب أسود ضخم شح الهيئة عرقته على النور . ورأيت أمام مقعدى

الحكيمباشى يسمح روحه المعتق المنقوش بدحرمله على أكتافه ويدفع

جاره وهو يمددم . وتلاقت أعيننا . وشمرت بأنى ابقم له . وشاهدته

يحسنى بجمالة باقتسام سطحية خاطفة . وبعد لحظات قال لي متدقعا :

— يدفع الواحد منا ستة مليات لهذه الشركة الملمرة ليحظى

بمثل هذه الجلسة المرمقة . نحن آدميون ولنا بهائم حتى يحشروننا

مكفنا كأتا في عربة للحيوانات . لماذا لا يزيدون عربة على

كل قطار في مثل هذه الاقاوت . أقسم باقه ان سوارس الذى تدفع

فيه ثلاثة مليات قطع أحسن ألف مرة من هذا الترام .

غرافته مرافقة تامة . وأخذت أذن له الشركة بدورى . فظهر
على وجهه الارتياح وأخذ يناقش الحديث بلهجة ودية ومن غير
تكلف كأنه يرفق منذ أصرام . وقال :

— لم تحضر الى القهوة منذ أيام

— كنت مشغولا جدا . لقد هجعت علينا الدروس

— فيه يا بى لو كنت منا فى الجيش لاستصغرت من شأن
مشاغلك . . كنت أنا لا أجد الوقت الكافى لاتناول كوب
القه فى الصباح

— حضرتك خدمت فى الجيش مدة طويلة ؟

فأجاب بلهجة متزنة وهو يبت بلسلة ساعته .

— ٥٥ سنة . . ٥٥ سنة . وأنا أعيش فى الخيام وعلى ظهور
الجناد . أضمد جروح الجرحى وأعنى بالمصابين . ثم أخرج بعد هذه
الخدمة الطويلة المريضة الشاقة بمماشى لاهوى البير ولا فى مصر . . .
لا مكافأة ولا مجنون . .

ثم مال على وهو يتهم وقال :

— ألم تنس المثل القائل : آخر خدمة الغر علقه .

وكان قد حلامكان بجواره فنظر إلى كلبه الذى كان يمددا تحت
أقدامه وقال له وهو يفرقع بأصبعه . .

— كام هير جيمى . كام هير ماى دير .

وأشاره الى المحل الخالى . فقام الكلب وبعد أن تخطى
وثاب فى هيئة شعبة فقر بجوار سيده والناس يرمقونه بالظفر
الشر . والتفت الى الحكيملى وقال وهو بلاطف كلبه . .

— لم أر فى حياتى كلبا رافيا كجيمى هذا . انه انسان وليس
بحيوان . لقد استعيت به عن البني فورا بنى . وعن الخدم فهو
نابى الامين . وعن الحراس فهو حارس الذى يذل دمه فى سبيل
أصدق أنى لا أفاضر سواء فى منزل .

ثم نظر الى كلبه وقال :

— أوه جيمى أى لاف يرفى ماتش (١)

وكان بجوارى شيخ معمم فسمته (بمحصن) بشعبه ونعمت قائلا
— لله فى خلقه شؤون !

ووقف الترام على إحدى المحطات ودخل العربة محمدافدى زكريا
الموظف ببنك الكومريال الايطالى فلم على فى بشاشة . ثم التفت
الى الحكيملى وقال :

— أهلا أسعد بك . فى غابة الأشواق يا حبيبى

(١) أوه ناجير أنا أسعد بك

ونحننا برهة فى العموميات . ثم رأيت أسعد بك الحكيملى
ومحمدافدى زكريا بفتحان باب البحث فى المسائل المالية . فكت
وأصعبت لهما . وأخذا يتعمقان قليلا قليلا فلم أعدأهم من كلامهما
شيئا . وكانت أمثال الكلمات . الكامير والبورصة وسندات الشركة
الجبكية وأسهم البنك القمارى والربح العر مساوى نظر فى أدنى طيحا
مزعجا . وارتست على وجه أسعد بك أشد مظاهر الاهتمام وحدث
عبيه تحملا فى وجهه محدث حلقة الجائع الشره . وضائق أخيه تسعان
كلهما تسجديان المراء . . . وأخيرا وصلنا الجزيرة فلم أسعد بك
علينا وزل لأنه كان يسكن هذه البلدة . أما أنا ومحمدافدى زكريا فتاسا
ركونا الى الأهرام اذ كنا نرغب فى تناول الشاي فى (ميا هاوس)

— وصلت على محمدافدى وقلت له .

— ان لصاحبك ماعا طويلا فى الأمور المالية

— انه يا عزيزى يفسد بالجنسات فى سوق المضارة كما تلب

الأولاد (باللى)

— وهل يكب ؟

— لم أسمع مرة واحدة أنه غير .

ومرت الايام وكثرت مقابلى لأسعد بك فى القهوة وتوثقت

بني وبينه روابط الصداقة . واتضح لى أنه شخص غير مزعج -
كأنه مهتم قبل مرفى اياه . فكان اذا رآنى فى ركسى المجهود
منكبا على كتابى اذا كر درسى احترم على ولم يفتح فم بكلمة .

أما اذا لاحظ أنى لا عمل لى دعانى الى الجلس مع . ولا أذكر أنه
أكرمنى بفتحان قهوة . أو قدم لى سكارا واحدة . أما حديثه فكان
سخيفا ولكت مل للغاية . معظم حكايات عن حياته الماضية فى
الجيش ونواذر عن كلبه لا تخلو طيحا من مالفات ومفالفات
وكان اذا تكلم عن كلبه لمعت عيناه بومض غريب ونيل اليك
أنه يتكلم عن ابن وحيد له قد وهه كامل محته وخنانه .

وتنصت بضعة أيام عن القهوة ثم عدت اليها فكان أول شى لاحظته
هو أن أسعد بك غير موجود . ولما جادى غلام القهوة سأله عنه
فلم يفتنى شيئا . وبعد قليل ظهر عريس ماسح الأحذية . وكان
سرورا يحيط بظهر فرشته صندوقه فسأله :

— ما الخبر يا ولد ؟

— خبر عظيم جدا يا به . لقد أخذوا كلب أسعد بك فى عرة الكلاب .

— يا شيخ ؟

— شاهدت ذلك بعينى رأسى .

ونالنى شى من الأسف . ولكننى لم أهتم بالأمر كثيرا . واعتقدت
أنى سأرى فى الغد صديقى وكله يحتلان ركنها المختار فى القهوة

وبعد انقطاعي بصره امام ذهبت الى القهوة فوجدت أسعد بك
وتحت لمعي عن الكلب فلم أجده. وكانت عينا صديقي من مدتين حائرتين
ووجهه محتما. وسلبت عليه فلم علي في انصاف وصمت فلم أشأ أن
انقل عليه. وقصدت الى مكان وتحت كتابي وبدأت دراستي ولكني
ما كنت أصل حتى صمت يتكلم في لهجة شرسة كأنه يتحدث انسانا
امامه قائلا

ياخذون الكلب ويطلبون مني جها مقابلا لخلق سراحه! حيه!
هذا نصيب، هيب... انصر على ذي مصلحة
وبصق بصقة كبيرة. ثم أتم كلامه...

... مع أني اهتمهم أني حكيم... حكيماشي الاورعة
التاسعة التي فهرت النعاسة في الأبيض ودارفور. رجل مقامى
معروف وماضى مفعم بحليل الاعمال. مصلحة دون الاعتراف
اصحاب المقامات... انصر...

وبصق بصقة أخرى. وكان يتكلم بدون أن يلتفت ناحيتي.
ولكني كنت متأكدا أن الكلام موجه الى اذ لم يكن في القهوة
غيرنا. فرايت من باب المجاملة أن أعير حديثه اهتمامي. وقلت:
... جميع مصالح الحكومة بايطة.

فاحتد في كلامه وهو يطر. امامه دائما وقال:
... الا هذه المصلحة. انهي ليت بايطة فقط. انها غير
موجودة... أتصدق أنهم يرضون شهادتي الرسمية بأن الكلب
غير مكروب وأنه ليس من الكلاب الضالة. ويقولون ان الاجرامات
يجب أن تتبع مجراها. اجرامات هذه... سأريهم كيف تتخذ امثال
هذه الاجرامات مني ومع كلبي. سأريهم...

وضرب بشدة على المائدة وانفتحت الى هذه المرة وعيناه تشعان
بالوب وقال:

... لقد أرسلت عريضة اليوم الى وزير الحرية لتخليه سبيل
كلبي في الحال... في الحال.

فأجبت على الاثر.
... حسنا فعلت.

وفي الغد سافرت مع فرقة من طلبة المدرسة في رحلة الى الصعيد.
وقضينا هناك أسبوعا كاملا نتغزل بين رجوحة متخرجين على آثاره
الغليظة. وفي اليوم التالي لعودتي الى القاهرة قصدت الى حقوق
المعروفة. فرايت عروبا جالبا القرفصاء على الارض بجوار إحدى
الموائد وأمامه صندوق ينظر زبائنه. فادبته وسألت على الفور.

... ماذا جرى لـالـكـلـب أسعد بك؟
فابتسم ابتسامة عريضة وقال:

... سيش أنت!

... قلوه؟

... منذ أربعة أيام

... ألم يدفع أسعد بك المبلغ؟

... يدفع المبلغ! انه يرضى أن يدفع لهم عبيه. أولا يتجاوز
لهم عن الجنيه.

وشاهدت أسعد بك آتيا صرب القهوة يتوكأ على عصاه العليقة
وسير في ثقل واعياء. ولما اقترب مني ابتسم لي ابتسامة هزيلة وسلم
علي ثم جلس. ولاحظت على وجهه شعوبا كأنه قريب العهد
معرض خبث. وأشار الى المقعد الذي أمامه وقال:

... تفصل اجلس

تجلست وبدأنا نتحدث في أمور تافهة. وكانت لهجة مهملة
ونظراته فيها بعض الشرود. ولم يتكلم بكلمة واحدة عن جيسي
فعلت أنه لا يريد الخوض في هذا الموضوع. ثم خيم علينا صمت
ثقيل فاستأذنت وقصدت الى وكني.

ومنذ ذلك الحين اختلفت مواعيد أسعد بك ولم أعد أراه دائما
في القهوة كلها ذهبت. وغير عاداته في فتيان القهوة السادة الذي
كان لا يجيد عنه ولا يريد عليه واستبدل به بضع كؤوس من العرق.
وكان كلما ثارت الصياح في رأسه انزعج بشكل في اسباب بعض
وبصوت مرتفع كأنه يصرخ أو يشتم. وكانت موضوعاته دائما
لا تخرج عن مهنة الطب الليطري وسب العالم كله على السراء.
كان يقول دائما:

... الدنيا كلها هيب في هيب. انصر بلا قرف. ولما
يضيق على شرب الزبيب معصو قول ل:

... لا تنحس ضررا. أنا حكيم. ان الزبيب معصو للدم وقائع للشية.
أحسن المشروبات كلها.

وأصبح يجلس أسند بك لا يطاق. فلما كن اضمم معه تلك المحادثات
الملية. ولم يكن يركني إذا كر دروسي في حذر. بل كان دائما يعلقني
بصياحه المزعج ويضطرني الى الانصات لموعظية كلامه. وكان اذا رآني
مقصر أقي الالتفات اليه جاء الى مائدتي ونقل مشروبه اليها واحتل مقعدي
بحولوى وبدأ يسبح بشكاياته وشوائبه.

وحدث مرة أن جاء صاحب القهوة بحساب الشر. وكان من عادة
أسعد بك أن يدفع الحساب شهريا. فأخذ الورقة من يد الرجل وألقى عليها
ظرة عابية ثم صاح في وجهه:

... مائة قرش؟ جنينه! أما الصوص صحيح ان دفع هذا المبلغ ما حيت
ودعك الورقة تقرر ما هاني وجهه صاحب القهوة. واذا الأخير ان يتغام

معه لطف فاقرب منه ومعه الحساب وأخذ يوضح لعدد الطلاب التي طلبها . قدمه أسعد بك بشدة وصاح ...

— اذهب من أمامي لن أدفع شيئا . كلكم لصوص أولاد كلب .

ما حرت عينا صاحب القهوة وقال :

— اللصوص وأولاد الكلب يا حيي هم الذين لا يؤدون ما عليهم :

— اخرس ! أنترف من الذي تكلمه ؟ أنا أسعد بك حكيمائي

الأروطة التاسعة في الجيش المصري .

— وماذا بهم ؟ أنا أريد تقودي . ليس هذا الجنة كعبه مصلحة

الطب البيطري الذي لم تدفعه انقاداً لكليتك . هذا جنيته عن مشروبات جررتها من محلي .

ورأيت سحرة أسعد بك قد انقلبت وصارت كسحرة الثمر الطامح وقال وصوته يرتجف :

— ماذا تقول يا وتي ؟ جنيته الطب البيطري اجنيه الكلب أنظن أنني قد

مخلت بالجنة في سبيل انقاذ كلبي ؟ اتجرو على هذا القول بالعين ؟ أنا أؤرضي

أن ادفع مائة جنية لاجنيا واحدا من أجله . . . ولكنني لا ادفع للصوص

أولاد حرام ، كلكم تتحقون ضرب الصرم ، ورأيت يمس يده المرحمة

في جنيته في حركة شاذة ويخرج ورقة مالية من ذات المائة قرش وينهال

عليها تمزيقا في وحشية غريبة ويشعل :

— أنتطيع ان أقول أنني لا أستطيع أن أدفع جنيها . .

ثم قام وأنتب أظافره في رقة الرجل . وقامت بين الاثنين معركة شامية

استصعبت من أجلها الشرطة .

ومات أحوال أسعد بك فلم أعد أراه الا غمورا رث الحبة مرق

الملابس . فوى الشبه بولا القشردين بمدني الخدرات الذين تراهم في

الطرق يتجهون المارة . وكان لا يكت لسانه عن القود وبالاخص

عن الجنة الذي لم يدفعه انقاداً ألكله ، وكان يوكد في حماس غريب أنه

لم يدفع هذا الجنية تكاية في مصلحة الطب البيطري ليفهم أنه ليس

مفعلا أو ضعيفا . وكان يروي الحكاية لكل من يقع عليه بصره في

القهوة أو في الطريق وهو يصبح وجهه ويشتم . وإذا لم يجد من يكلمه

وأبته يحدث نفسه عتدا وهو يلوح يده في حركات شاذة .

وأغلب من شحج شكالب على المال الـ صرف متلاف لا تعرف يمه

ما تنفع شيئا . وسمعت أنه كثيرا ما يذهب الى مصلحة الطب البيطري

ليقدمي الكلاب الصالة ويخرج لها رخصا بمبالغ لا يستهان بها . وكان

يحرصني دائما على التذير ويقول :

— اصرف ويحب على نفسك .

وقابلت مرة محمد افندي ذكريا الموظف في الكورمبالي الايطالي

فروى لي أخبارا من عصف أسعد بك قال انه يضارب الآن بمجنون ويغمر

خسائر فادحة .

وحلت الأجرة السورية واغطمت عن ريادة القهوة ثلاثة أشهر كاملة .

ولما عدت إليها رأيت كل شيء فيها لم يتغير . وكانت مائدة المختارة في

موضعها بجوار الجفول نظائلا أغصان الشجرة العتيقة . فكأنني لم

أغارقها الا منذ ثلاثة ايام . واستقبلني الوجه الذي أعرفها كل

الاسمائه الخاصة . والتفت حولي مشرق الوجه وأنا أقول :

— كل شيء كما هو !

وبعثة قلت لمربس الذي كان يمسح مفعدي في هرج ومرور وحيي

منه لمسح جدي . .

— أين أسعد بك ؟

فوقص عن عمله ورفع بصره الى فوق غابت اقبامته وانقطع ضجيج

المرح وقال بلهجة قايضة :

— لم نسمع عنه شيئا ؟

— كلا

— لقد ارسلوه الى المارستان . كانت حالة المسكين في المدة

الاخيرة صعبة . وكنت انا الذي أعتى به .

— ما هذا الكلام ؟

— الحقيقة ما أروها لك

— وهل يمكن أن أؤدبه في المارستان ؟

ومدعوس صندوقه تحت قدمي وبدأ يمسح في هدوء . وقال في لهجة

غريبة :

— كلا ياسي لا نستطيع أن نؤدبه . . . لن نراه أبدا . .

ونكس رأسه . . . فصكت رأسي أنا أيضا وبدأت استغرق في

تفكيرى الحزين .

في الصيف

للدكتور طه حسين

يبيع من اليوم شباب القرش لفائدة مشروعهم

اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦

• ثمن السخنة ١٠ قروش وللجملة ثمن خاص •

تريد أن تحب ... ؟

للأستاذ أنور شاول

الأستاذ أنور شاول كاتب عراقى وشاعر عراقي ويقيم حالياً في بيروت العاصمة ويدرول الصحافة ويصدر مجلة (الحامد) وهي أرق المجلات الأسبوعية في بغداد وهو ثاني اثنين أناما القمصنكاريه على قواعد من الفن الصحيح وله فيها كتاب المصاد الأول

(الرسالة)

فرغت من قراءة المقال . وفي هذه المرة لم ترم المجله بنصف وباس شأها كل يوم انما وضعتها باطنف قرب وسادتها ثم مدت يدها لتعطف على زوال الصباح فساد الظلام .

وفي حليكة العترة كانت عيناها فتوحين يلتصق قيهما يريق بخريب لم تقسم للنوم لانها كانت تشمر بحاجة ملحة الى الايقاظ والتفكير عجباً أيمكن أن يكون شقاؤها لللازم قد أشرف على النهاية فتشرق شمس الفد ضاحكة وتقبل العادة المفقودة لترتمي بين أحضانها ؟

انه مقال « في الحياة والحب والجمال » لا مثيل له فبأقر أنه قبل اليوم من تلك الفصول الثلاثة . انه قطعة من وجد ، فقة من قلب بل هو حياة مثل مصفرة طالما حلت اليها بعد نكتها قبل سنتين . ولكن هذا المقال لم يمر من اهتمامها قدر ما أثار منه كاتب المقال ، ذلك اللوذعي القدير للتعن ذو القلم الساحر الذي استطاع ما لم يستطع قلبه كاتب من إهاجة الجرات السكامة من أعماق صدرها .

فمن هو هذا الكاتب ؟

المقال مغيب بمضاء ولكن الأضاء لا يتجر الى شخصية حقيقية انما هو من تلك الاعضاءات المتطيرة المتكررة . « سيمر النجوم » ومن هو هذا سيمر النجوم ؟ وضعت على زر الصباح فتعجزت الأنوار تشر البقلة وكانت الحلة في يدها فجلست متكئة على وسادتها وراحت تطالع المقال ثانية . وهي في كل نظرة من قرائته تستهل النظر فتطلق لأفكارها الجائعة النار . لم تعرف (م) كم مرة أعادت تلاوة المقال في تلك الليلة . ولم يكن ليها أن تعرف ذلك . وعندما دقت الساعة اثنين بعد منتصف الليل تذكرت أنها أوت الى فراشها في منتصف الساعة الثامنة

د (م) من هي ؟

هي تلك الزنقة التي ما كلد تنهها يفر في الحديقة التناه تختصم الذي وتشرى الصبر وتستم بأنوار الشمس حتى قطعت عنها الطبيعة

بحارى المياه فواحت لتكسر العطش وتغدر الملاك ا .

هي الزوحة الحسناء بالامس القرعة الكاس صيانة قدسية . الأرملة البائسة اليوم المتلكة الجوانح شهوراً بحرياً علوا ا .

باللحسان الرائع تلامسه بدالاسي بأصابها النارية بالقلب الفارغ بعد اعتلاء تشرب اليه الوحشة والطين بين الدكريات الواضحة الجيلة ا وبالقالبى الشتاء ما أطولها وما أقسى بردها على هذه الحماة الوحيدة الواحدة ا

نوفى روج (م) ولما يمر على روادها أكثر من عام غلف شريك حياتها ولاسوى لها سوى طفلة في مهداها ودكريات طيبة مشوية بمرارة الفراق الأبدى . من الذي سيأخذها الحديث الخلو ؟ الاتهام ؟ الصلات

والعناق ؟ ومن سيحاطرها الحياة شهورها وسنينا ؟ أجت وحيدتها شأن كل أم وأفرطت في الحب ولكن هذا الاوطا ما كان ليخفف من مصابها جريك حياتها . ومرة الايام والاشهر وتصرم عام وبضه . و (م) لتهدف سبلم الحياة .

فتتلم ذلك الالم الاخرس الذي يجيش في نفس جريح خاتمة نواه لما استطاع كالأماحق ولا أينا ا .

سل الوسادة مما بلبلها من دمها الفزير في ظلمات الليل اسل النجوم مما تصد اليها من حشرات على أجنحة الريح اسل للراة الصافية مما صوب اليها من قطرات جنية ؛ ومن خلال لآلى الدموع كانت عيناها تتظران عيلاً كبير الى الجمال الضائع .

— اننى مازلت حناء ... جاذبيت مازالت نائرة ... وقابى الفارغ ... هل سيطر هكذا ... ؟ ولماذا يظل هكذا ... ؟

تحول هذه الافكار وأشياءها في رأس «م» فلاتليت أن ترمي على كرسي قريب وتجهش بالبكاء . فلذا مادنت اليها طفلتها تصبح (ماما) انقلب من البكاء للضحك ومن الاجهاش للقبعة . وفي شئ لم يتغير هو الالم للمضى في قلبها الوديع .

(أريد أن أحب) .. وحى علوى جبط على نفس (م) حيوما قطرات الطل على الزهرة العطشى ولاسى كل عاطفة من عواطفها ملامة لفعة للوند الحميم البارد للمطل . ولكن أين من تحب ؟ ومن هو ؟ وكيف الحصول عليه ؟

شاب في مقتل الدمى ، محشوق القوام ، ضحوك الوجه ؛ براق العينين ؛ جرس الصوت ؛ صوب المشر ؛ متقف ؛ ذكي ؛ ذلك من كانت تبحث أو تحاول أن تبحث عنه (م) ليجلاً فراغ قلبها الفنى .

ولكن أين تجده ويحبها من التساوة بحيث يراقب منها الحركات والسكنات ويحسى عليها حتى أعصابها . طريقها طويلة مثلكة فهل تميز وهي حافية القدمين أم تنكس على الاعقاب ؟ (أريد أن أحب)

كانت وجهاً طاماً أن له مرد

بعد تفكير أيام بليلها وصلت إلى أنف مامكها من جد أحد
كواكب السماء، وكواكب السماء كثيرون تمنح عملهم وأصواتهم
السماء الناطق كل أسبوع، فما عليها إلا أن تهب أحدهم مثلاً روبرت
مونتغمري أو كلارك كابل أو موريس شمالي أو حاكم بوكاسين
أو شارلس فلز أو رامون بوفرو أو أي كوكب آخر ففضل على
انتاء سورة ومشاهدة أفلامه وقراءة أحلامه وتنبع كل أثر من آثاره
وهي فكرة جميلة تخفف من لواعجها ولكنها لا تظن، أو أرقائها
إنها في حاجة إلى حد حقيق لا خيالي. فلتحدث عن أميتها في غير
هذه السبل.

— لماذا لا تطالع الروايات المصرية التي ماران أشخاصاً أحياء
بررغون؟ قلنا ما عليك إعجابها بطل ما تلتحدث عنه عماها تصل إلى
معرفته والانتصار عليه فتعزبه وعلى رأسها إكليل (كيويدي) وإلى
حانها عشيقها العزيز الخلوب.

فكرة جميلة جداً حارت أن نخرجها إلى حيز الوجود فقرأت
أكثر من خمسين رواية فلم تظهر معطام أنظارها وأفكارها فاشتاحت
بوجها حزينة ولهي!

وكوضعة البرق المظلم تحت جج الظلام يحيط لها خاطر أنف إلى
ورأت في مقربها لها من هذه الحالة الالبية، هو أن تحدث عن (تريد
أن تحب) في الجرائد والمجلات المحلية بها بوجه خاص، في هذه الصحف
يكتب المشرقات من الكتاب والقصصيين والشعراء فما عليها إلا أن
تطالها بانتظام حتى تنثر على صالتها اللشودة.

مقالات! قصائد من الشعر المعلوم أو المشرور! كنهات
مأثورة لا يحمي لها عدد! هذا سياسي! ذلك أدبي! الآخر غلام.
إلا أنهم كثيرون! كثيرون جدوا لكهم على رعم كثيرهم لم ير واحد
منهم كامناً في نفس م فكانت تطالع ما يشعرونه ثم لا تلبث أن ترمي
الصحيحة جانباً ثم يهملها شعور هو أقرب إلى العور من السواء.
حتى كانت تلك الالة البعيدة التي وقع نظرها! فيها على مقال
«سمير النجوم» في الحياة والحب والجمال تنفست الصعداء وترقت
أسرارها وعيها وخفي قلبها حققة عريه لم تستطع «م» تأويلها
إلا بأنها عثرت على من تريد أن تحب.

والجدة التي صرحت مقال «سمير النجوم» أسبوعية كانت «م» نشرها
صباح كل أحد من بائع الجرائد المأجور لدارها، أما اليوم فقد كتبت إلى
إدارة المجلة ترحب أن تعدها مشتركة في ثلاث نسخ أرسلت بدل
الاشتراك السنوي عنها سلماً.

وكان سمر الأحد التالي صدر من المجلة. وبالطرح «م» إحدى مد
أظن أسبوع كامل كان أطول من عام ثم قرأ شيئاً «سمير النجوم»
وبلوحته القلب!

«أريد أن أحب» وهي أحد بنجيم «م» في «م» يوم
«يوماً بعنا الآن في أنجيم» وفي الأسبوع الرابع قرأت ودموع
المرح تفرق في «م» بها فلا نأيا «سمير النجوم» عوانه «السعادة
الزواج» وأقال «م» فكان «م» أن عبق في نفس «م» فألقت قراءته «م»
وتلك ورابعة حتى أوشكت أن تحفظه عن ظهر قلب.

وفي الأسبوع التالي نشر «سمير النجوم» قصيدة في ٣٦ بيتاً بعنوان
«نلي» كل بيت من أبياتها يسيل رقة وجمالاً، فكررتها «م»
حتى حفظتها كلها وراحت تنص بها صباح مساء.

وظلت «م» تتعقب آثار «سمير النجوم» عشيقها مثلاً الأعلى، معدودها،
تلتزمها التهاماً ولا تنفأ، سواها. وفي أحد الأيام فبكرت حقاً في
الامر ولربأت أن عليها أن تعمل محلاً حازماً في هذا الشأن فتقول
لسمير النجوم وجهاً لوجه «ان أحك... أحك أيها الكاتب القدير...
أحك أيها الفتى الجليل... فكيف تصل إلى ذلك؟ وأجهدت
فكرها وإذا بوحى الحب يهبط فيلما أن أتدعو «سمير النجوم»
— برسالة تنبأ اليه بواسطة المجلة — لتناول الشاي لديها في مساء
الثلاثاء القادم. ما أبدعها فكرة مصيبة سهلة التنفيذ.

وفي هدر الليل جلت إلى مكتبها فحبر الدعوة إلى «سمير النجوم» وكان
الغم يرتف بين أناملها فتكتب وتنشط وتخرق ثم تكثف وتنشط
وتخرق ثم تعود فتكتب وتنشط وتخرق... هذا تعبير غير صحيح...
هذه كلمة حسنة... هذه جملة ممكنة... هذا تعبير غير صحيح...
وأخيراً استقرت على أن تكون الدعوة كما يلي:

«أنا إحدى المصحات بكتباتك البيضاء بالروح. أشرف بدعوتك
إلى تناول الشاي في داري الراقصة... في الساعة الخامسة زوالية من عمر
الثلاثاء القادم. أهلاً بك منذ الآن.

قرأتها ثانية وثلاث فاعجبها، عند ذلك وضعتها في غلاف مطرو وكتبت عليه
إلى الكاتب المحترم «سمير النجوم» — بواسطة مجلة... الغراء
وحين استلقت على فراشها أرادت أن تقرأ الرسالة للمرة الأخيرة فل
أن تلتفت فناولتها وتلقا بصوت عالٍ كأنها تريد أن تنهض موسيق
رأيتها صدمتها منها المجلة الأولى «أنا إحدى المصحات» ولا... لا...
محب أن تكون هكذا وأنا... حجة الخ... لماذا أتحدث إليه عن إعجاب القبر؟
ونعت إلى مكتبها تميد تبييض الرسالة وبعد هنية كانت تساورها
الاحلام المجلة!

(القية على صفحة ٣٩)

رحلة الى دير طورسينا

للاستاذ الدمرداش محمد

دوره الامتحانات ومجلات بورجاء القاهرة

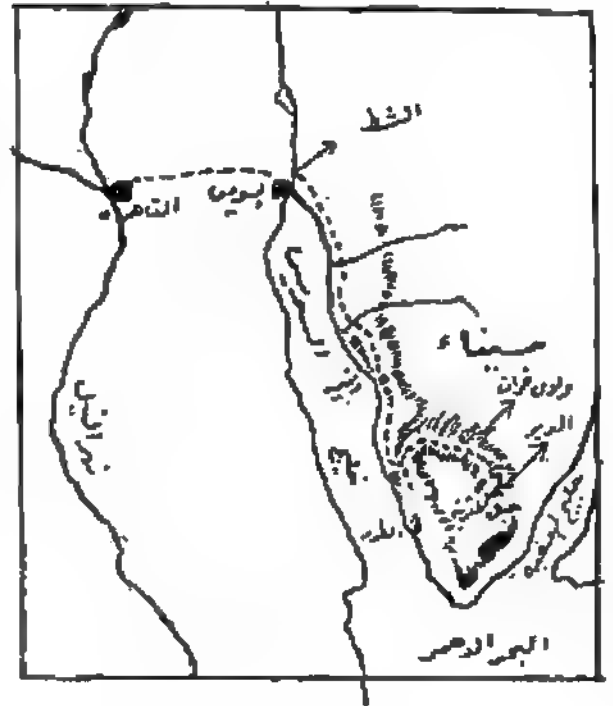
علاها الى الامل ولا يتيسر احراجها منه الا بمجهود وشقة وتعبير الكشاش
الرملة من اكبر معطلات الانتقال السريع في الصحراء . وهي تمرض
الطريق في كثير من الجهات . وكذلك جلايد الصحراء وهي منتشرة في
كثير من الوديان ويجارى السول . الا انها اقل خطورة من الكشاش .



والمسافة بين القاهرة والدير نحو ٤٢٥ كيلو متر تقطعها المارة عادة
في ثلاث مراحل : المرحلة الاولى من القاهرة الى السويس ، والمرحلة الثانية
من السويس الى ابي زينة على خليج السويس . والمرحلة الثالثة من ابي
زينة الى الدير .

غادرتنا القاهرة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ باعطين
قاصدين السويس عن طريق الصحراء ، فوصلنا هان الاصيل وبقنا فيها .
وفي اليوم التالي عند الفجر عبرنا قنال السويس الى الضفة الشرقية عند نقطة
الشط ، وبعد ان خصنا سيارتنا ورتبنا معداتنا انطلقنا نسير نحو الجنوب
في طريق دلي منبسط - وعن يميننا خليج السويس وعن يسارنا تلال
تدرج في الارتفاع كلما بعدت عنا نحو الشرق - وبعد ساعتين الشط
مردنا بهيون موسى وهي عبارة عن واحة صغيرة قريبة من الخليج خالية
من السكان وبها عين ماء وكدة ونخيل وبعض اشجار اخرى .
وعند الظهر قطعنا وادي الفرندل - وهو واد عريض يسير من الشرق
الى الغرب ، كثير الشجيرات وافر الكلاب يتوسطه مجرى من الماء العذب . وبعد
وادي الفرندل تغير طبيعة الطريق فيصير صغريا في كثير من اجزائه
كثير التعاوب والالتواءات بين انخفاض وارتفاع وتقوم في جهة الغربية
سلسلة من جبال عالية تحجب البحر ونبيه . وقيل المصير رزت امامنا
جبال المتجيز يلونها الادي كن وعطرها الشاق . وبعد ان مررنا وادي
الطيب وهو كوادى الفرندل كثير الماء انعطفت الطريق نحو الغرب . وبعد
ان اجتزنا مضيقا بين جبلين انحدرتا نحو البحر الى سهل واسع مواز للخليج
تقع ابو زينة في طرفه الجنوبي على مرفأ صغير للسفن وهي عبارة عن
قرية صغيرة بها منصات شركة المتجيز ومشروعاتها ومساكن

كثيرة من الرقاق من شرب مختلفة جمعت المصادفات واجتبا
رغبة مشتركة للقيام برحلة الى قلب شبه جزيرة طورسينا لزيارة ديرها
الشهره دير سانت كاترين ، فانفقنا على تنفيذ الرغبة ورغم ما تطوى
عليه من مشقة ومناعب جتولكنها كانت الرغبة نائرة دفعتنا الى العمل
بمحاس شديد سامقة الشاب منا والكمل والشيخ على حد سواء . -
وبعد ان استكملنا عدتنا من مراكب السفر والاقامة وتزودنا بكل
ما يلزمنا من معلومات وخراطم - اشأجرتنا أربع سيارات من نوع
معروف بالثبات ومقاومة الصدمات والرجات المفينة . ثم جعلنا
إحداها لحمل المعدات والاشترابات لركوب الجماعة .



من القاهرة الى دير طورسينا

تستغرق هذه الرحلة عادة أسبوعا كاملا ثلاثة أيام في النهار يرمين
في الاقامة والترحال على الدير وثلاث في العودة ، هذا اذا لم تصادفك عراقيل
في الطريق ولكن كثيرا ما يضيع على المسافر يوم أو بعض يوم في اصلاح
ما قد تصاب به سيارته من عطب أو في اقتادها من بورطة . فقد تنحصر

ابض واسود. واخر وجوانها تكاد تكون رأسه وقبها غروطة تاطح
الجباب والواى كثير الغش والخيرات ونفع واحه هيرانى متصفه
طولها نحو اربعة كيلو مترات. ورويانع من الماء الرلال ينمى من جوانب
الصحرويلق بحارى تخلق بانين الواحة ورويانا، والواحة عامرة
اناس والحوان و المردوعان والحشاش، فهما من الحيوانات الجنى



واحة هيران

والعم والماعز. ومن المزروعات القمح والشعير والبقول ومن الاشجار
الخيل والجمون المالح والتماح والنق والتمر والزيتون والسرو والغش
والصير وغير ذلك من الاشجار البرية التى لا اعرف لها اسما .
كان وصولنا الى الواحة قبل الغروب ساعة فمرنا ضيقا على الحديقة
الناعقة للديروندة اتكنا ايلة بها وغد رحب بنا الراهب المشرف على الحديقة
ورادى اكرامنا بيا كنا عشاء شيا مركات من شاة مشوية وبعض البقول
المطبوخة والنواككة المحضوطة .

وبعد اننا جئنا الى الراهب استمعنا لقولهم من اصل يونانى
يتكلم العربية برطانة ولكنها مقولة معروفة قال: جئت هذه الواحة مررتا
من قبل المطرانة مدسنة عشر عاما وكنت قد جاورت الستين فوجدت
فيها ما كنت اشد من العزلة وطيب الإقامة ولا يزيدنى مرور الايام
الاتصافا بها وعمه فيها وقد عشت مع هؤلاء الدوابيين عيشة عاتلة

الموظفين والمالوم مسجد ومدسة أولية وقطعة بوليس ومكتب للبريد
والنظر احدث وكان صغيرة (كاتين) قديما بها الماسر بعض ما يلزمه
كالأطعمة المحضوطة والتزوين والسماح، وبالقرب من المكان المذكور
منودع للماء العذب الذى يؤتى به من السوريس فى البواخر والشركة
تمطه للماسر من جرم قابل

كان وصولنا الى قديس قديس قبل الغروب ساعة فمرنا ضيقا على
ناقص السير والطريق بعدها لمسافة ليست قصيرة صبح يسير فوى
صحور عاتلة لسرف على البحر من جهة ونجى بها الجبال من الجهة
الاخرى ، وعند الغروب وصلنا الى نقطة بوليس لحفر السواحل واقعة
على البحر بعد عن السوريس نحو ١٥٤ كيلومترا فمنا بالقرب منها
وفى صباح اليوم الثالث تاسنا الى دير حوماق الطريق الماؤمتا الى الطور
مسعين عن الطريق الشرق للدير لكثرت ماله الناعمة وهو الذى تسلكه
عادة سيارات مصالحة الحدود . وعند الظهر وصلنا الى نقطة تفرع منها
طريق نجمة شرفا وهو طريق وادى هيران الموصل الى الدير فتعاه وبعد
ساعة . وكان تقدمنا بطنا جديا لمرارة الارض وكثرة الجملات بها . دخلنا



من وادى هيران

وادى هيران العظيم . وهو من اجل الوديان التى شاهدها . طولها نحو ١٢٠
كيلومترا . كثير المنويج، وجاله جرانسة شامخة ذات ألوان متعددة بين

لم تسب عشر تاتول هذه المدة أيتشائية هوكل ما أتمناه ان تكون حجر ق
الصخرة هذه - مشير الى حجرة توسط الحديثة - وهي التي آوتى
طوال هذه السنين في قيط الصيف وذهير الشتاء ، أغنى ان يكون فيها
لحدى كذلك ثم مكث وأطرق برأسه وبعد ان تائب طويلا اخذ ير تل
فبدأ ينادي بصوت خافت ونفحة عذبة شجيرة طمرت لها واما اجت عواطفى
حتى كدت ابكى ثم انجى الى ناحية في الحديقة ودعا نازق الهلال من بين
رعي - ربالة - فكان مشهدا لم أر أجمل منه

ومظهر الحديقته حسن تسيقها بدلان على ما يذله هذا الشيخ من عناية
وبجهد ، ويقوم على خدمتها جماعة من البدو بارشاده ، وله عديم مكانة
وا احترام وهو يعيش بينهم أمانا مطمئنا ويعيشون في كنفه صبا لين قانعين ،
وهو المصروف في شئون النع فلا يسمع لبائتين الأهل من مائه الا
ما يزيد عن حاجة حديثه .

ويشرف على الواحة جبال سريالة يحدها القاعة وقبها الضاربة
نحو السماء برؤوس غروبية كالسهام . وقد شاهدنا بين الرقبان
قديمة قيل لنا إنها منازل لرومانية أثرية ومن بينها صوامع للرمان .

وفي صباح اليوم الرابع تابعنا السير بين مناظر طبيعية رائعة خلافة
وكان تقدمنا بطيئاً كالأيوم السابق لتصعيد الطريق، وقبل الظهر مررنا بقبة
على رهوة بجانب الوادي قيل لنا إنها مقام نبي الله صالح عليه السلام
وبعد ما تغيرت معالم الوادي واتجهنا نحو الجنوب ثم مال بنا الطريق نحو
الشرق وأوقفني بنا في واد شديد الانحدار، وهناك في أحضان جبال ثلاثة
وعلى ارتفاع ألف متر من سطح البحر أرى به ظهيرة لنا حديقة الدير
بأشجارها الباسقة ومن خلفها الدير نفسه أيضاً عند سفح جبل موسى
كالحصن ثابت الأركان على الجدران تعلوه المنازل والأبراج
(الخاصة)

ملحقية

رفائیل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

فقلها إلى العربية

أحمد حسن الزيات

وهي قصة من الشعر المنثور غربة العاطفة دقيقة الوصف
رائعة الأسلوب. تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع
الناصر رقم ٢٩ ومن المكاتب الشهيرة والذين ١٥ قرناً

ترید ان تحب...؟

(بقية المنشور على صفحة ٣٦)

بمئة ثلاث ساعات يأرق الموعود ، كل شيء منظم بدق سليم ، الاواني ،
الطنافس ، الوسائد ، الصور ، في وسط الفرقة رسم لها كبير يزك
ثمنها الايمن تنطبه ملافة حريرية شفافة ، بموعات الرسوم الفنية ،
الرازيوغرافون ، الكاير ، المطور ، ما اعظمه يوما في التاريخ .

الم يبق الا ساعتان

الميق موي ماعن مغب ا

النقد

لاتينيون وسكسونيون

لم أكن أحب أن تغفل المناقشة بين الاستاذ المتأدبيني من نقد اللاتينيين وعضد الكسوبيين الى الثقافة اللاتينية والثقافة الكسونية. ولست أحب أن تغفل المناقشة الى هذا الموضوع. ولست أريد ولا أستطيع أن أجاري الاستاذ المتأدب في المناقشة بين هاتين الثقافتين. ذلك لأن أحب الثقافتين جميعاً وأريد أن أنتفع بهما جميعاً بل أريد أن أنتفع بكل ثقافة أستطيع أن أصل إليها وأن أظفر بها عظم سواء كان ذلك من طريق الفراء في النصوص الاولى أو من طريق القراءة في التراجم. وإذا كنت أشكو شيئاً أو أضحى بشي فهو أن قدرتي ووقتي لا يسمحان لي بأن أقرأ كل شيء، وأن أخدم كل ثقافة طرف قوي أو ضعيف طويل أو قصير. ولم أفهم قط منافسة في تفضيل ثقافة على ثقافة أو إيتار ثقافة على ثقافة بالقياس الى أدب كالاستاذ المتأدب، أو الى رجل مثلي كل همة أن ينتفع ما استطاع بالثقافات الانسانية على اختلافها. بل أذكر أن مسألة الثقافات المختلفة قد فرضت نفسها على فرضنا في بعض الاوقات حين كنت أستطيع أن أوجه التعليم في بعض الليئات المصرية بعض الترجمة. فكرهت دائماً أن أؤثر ثقافة على ثقافة، ووقت دائماً موقف الخصومة العنيفة من الذين كانوا يريدون أن يفرضوا على مدارسنا الثقافية اللاتينية أو الثقافة الكسونية. ودعوت وسأدعو دائماً الى أن تكون مدارسنا وجامعاتنا ملتقى لاعظم سط من الثقافات. وأن يترك للطلاب أسرم حق الاختيار بين هذه الثقافات. وقد دعوت وسأدعو دائماً الى ألا تفرض على طلابنا وتلاميذنا لغة بينها من لغات أوروبا الكبرى. وإنما ندوس هذه اللغات الكبرى كلها في المدارس ويختار منها الطلاب وأسرم ما يشاءون. وحتى ذلك أن الثقافات كلها قيمة خصراً وأن منعتنا المهيبة إنما تحقق يوم نأخذ منها جميعاً بمحفوظ مختلفة فلا تكون أسرى الانجليزية ولا أسرى الفرنسيين ولا أسرى الالمان وإنما تكون مصريين قبل كل شيء يأخذون بمحظهم من الثقافات الحية حسب أمرجتهم ومنافعهم وحاجاتهم وطاقتهم أيضاً. وإذا كان هذا مذهبي في الصلة بيننا وبين الثقافات الحية فن غير المعقول أن أجادل في تفضيل ثقافة على الأخرى. والذين قرأوا الفصل الذي

كتبته في الرسالة بدكون أني لم أؤثر اللاتينيين على الكسوبيين ولم أقصلاً هؤلاء على أولئك، وإنما أنكرت ومازلت أنكر على الاستاذ المتأدب رعه أن القاد اللاتينيين يؤثرون الظواهر والارواض الاحياء وشعوب النكت ومراسم الصالونات على حين يمتي القاد الكسوبيون مساطة الطبيعة وبالرجل من حيث هو رجل.

هذا بالصط هو موضوع الخلاف بين الاستاذ المتأدب وبيني. ويرى أن الاستاذ قد يرى في الفصل الذي كتبه ردأ على من أن يكون تدأراد ليريم اللاتينيين حكمهم هذا الحكم. فهدء البراءة في نفسها انصاف لمؤلاً. القاد اللاتينيين الذين حتى عليهم مدح الاستاذ أنطون الجبل لشعر شوقي رحمه الله

وليس الدافع عن القاد اللاتينيين نصيباً لتقافتهم اللاتينية أو نكراً لتقافة الكسوبيين وإنما هو العلم يعني أن يقرأ الاغبياء في نصاها. وليس من الحق محال من الاحوال أن نقاد اللاتينيين كله أو أكثره أو نصفه أو ثلثه كأراد الاستاذ المتأدب أن يصوره؛ وإنما القاد اللاتيني كان دائماً ومازال نقداً جدياً يقصد الى طبيعة الكاتب والشاعر في باطنها. ويقصد الى الرجل من حيث هو رجل. وقد يصطنع في ذلك التأتى والظرف ولكن ذلك ليس عيأ له ولا غاضاً منه وإنما يبيده ذلك لضعفه لولم يكن في النقد اللاتيني إلا تأتى وظرف فأما وفيه بحسب تحقيق فأما. وفيه التماس لطيفة الكاتب والشاعر في باطنها. فقد يكون التأتى والظرف شيئاً لا بأس به ولا معنى للزهد به.

وعجيب جداً من الاستاذ المتأدب أن يكره الاعتراف بأن النقد الحديث كله يقوم رغم تطور مو اختلاف المذاهب الحديثة فيه على الثقافة الادبية اليونانية واللاتينية وعلى ما شرعه ارسططاليس في كتاب الخطابة والشعر من اصول اليونان. غريب جداً كره الاستاذ المتأدب لهذه الحقيقة. فإن العقل الأوربي كله مهما تكن بيئته ومهما تكن جنسية اصحابه ومهما يكن حظه من التطور وريد العقل اليوناني الروماني سواء وصياً أم كرهاً ولست أدري لماذا قبل الاستاذ المتأدب أن تكون طبيعة ارسططاليس ومنطقه والحياته ورياضيات اقليدس اصولاً لطيفة الاوروبيين المحدثين ومنطقهم والحياتهم ورياضياتهم ولا يرضى أن يكون نقاد اليونانيين والرومانيين أصلاً للنقد الحديث، مع أن اتصال الادب الحديث بالادب اليوناني واللاتيني مازال أقوى وأشهر وأعمق

من اتصال العلم الحديث بالعلم اليوناني . ولست أدري لم يرضى الاستاذ العقاد أن يكون تفكير اليونانيين والرومانيين في السياسة والتشريع أصلاً من أصول التفكير الأوروبي الحديث في السياسة والتشريع ولا يؤمن للقد يمثل هذه الصلة كأم هل الاستاذ العقاد ينكر أن يكون بين العقل الأوروبي الحديث وبين العقل اليوناني الروماني صلة ما بين الأصل والفرع ؟ فأنا كإنسان هذا مدعيه فليس من السهل أن نلتقي أو أن نتفق . بل ليس من السهل أن يلتقي الاستاذ أو يتفق مع الأوروبيين أنفسهم . ومن الذي يزعم أن رقي التقدم الحديث وبمدياته وبين أصله القديم يقطع الصلة بينهما أو ما عمل التطوران في حياة الأحياء فهو هل يتنازع المحضرين المترفين وبين آباء الذين كانوا يسكنون الكهوف والاعوار ويهيمون في الأحرار والعبادات صلة ؟ أم هل نحن قوم قد خلفنا أنصنا وإبتكرناها ابتكاراً ؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يوافق الاستاذ العقاد على أن التقدم لا يمكن أن يكون علانية كقول أن يوجد علم النفس الحديث ؟ أبا أنا فلا أعرف أن التقدم لا أحب له أن يكون علاناً كما أرى كقلت في غير هذا الموضع أن يكون التقدم راجعاً من العلم والفن وهو على هذا النحو قد وجد منذ عهد بعيد ، وجد منذ كان الفسطاطيون يملكون الناس في صقلية وإثينا صناعة الخطابة وفي الجدل يوجد حين كان لوسطوفان براون بين إيكولوس وأيرويديس أمام النظارة من اللاتينين وهو يمثل لهم قصة الصفادع أو عيس سبرس ، وجد حين وضع أرسططالينس فن الخطابة وفن الشعر واستمر في روما عند سيرون وعند خلفائه من نقاد الرومان ، ووجد كذلك عند العرب ووجد عند الأوروبيين المحدثين قبل أن يوجد علم النفس الحديث . أنا الذي أستطيع أن توافق الاستاذ عليه هو أن هذه القنون من التقدم القديم قد أصبحت الآن لا أرضينا ولا تفتينا كما أصبحت طيبة أرسططاليس وطب ابن سينا وفك جالينوس لا تفتينا ولا تفتينا ، ولكن هذا شيء . وما يذهب إليه الاستاذ العقاد شيء آخر . أما أنا فاعترف أن الاستاذ من أني لا أستطيع أن آخذ الأشياء هذا الاخذ السهل المهيّن القريب ولأن أقف بها عند أصولها القريبة وإنما أحب أن اتبعها وأن أبعثها إلى أبعث ما أستطيع أن أصل إليه من الأصول ، وقد يكون ذلك عياناً من عيوب الثقافة العربية التي نشأت عليها أو من عيوب الثقافة اللاتينية التي تأثرت بها ولكني حرص على هذا السبب لأنني أراه الأصل الصحيح لكل بحث على له صفة من الجدد . ولست أشك في أن الاستاذ العقاد نفسه حرص على هذا السبب لأن الثقافة السكوية تكبره أشد الأكاريم ويحيل إلى أن قد كان سكويًا ذلك الرجل الذي لم يرضه أن ينتهي بالإنسانية إلى آدم ففرق بها أو تنزل في طبقات الحيوان الأخرى . ولست أدري لم تزدون حين يرد الناس إلى الفردة ولا تقرأ الأدب الذي يرد التقدم الحديث إلى نقد أرسططاليس ؟

وبعد فاجعلنا أنشأ صاحبه . أموعلم النفس الذي أنشأ التقدم هو النقد الذي أنشأ علم النفس الحديث ؟ سألت نظير غربية بعض القراءة لأن المعروف أن علم النفس فرع من فروع الفلسفة قد تطور حتى أصبح الآن علماً تتناوله المعامل بالدرس والتحليل ، والتقدم من فنون الأدب . ومع ذلك فهذه القراءة لا تثبت إذا فكرنا أن هذا النقد إنما هو تحليل للآثار الأدبية وأن هذه الآثار الأدبية إنما هي صور ونصوص الأدباء الذين أنشأوها ولنفس القراء الذين استمتعوا بها . فدراسة الآداب دراسة للنفس الإنسانية . وليست هذه الفكرة جديدة ولا عصرية وأما هي قديمة جداً عليها اعتماد أرسططاليس في كتاب الخطابة والشعر وعليها اعتماد العرب أنفسهم في فنون البيان . ومن المحقق الذي لا شك فيه أن النواحيات النقدية التي نشرها «سانت بوف» قد أعانت جداً على تكوين علم النفس الحديث . ومن المحقق الذي لا شك فيه أن «بين» كان ناقداً ولكنه ألف كتاب العقل الذي لا يزال له خطر العظيم في علم النفس الحديث . فليس وجود النقد الحديث نتيجة لنشأة علم النفس ، وإنما التقدم في نشأة علم النفس وتأثر جداً بهذا العلم وكلاهما قديم وضع اليونان أصوله الأولى وأنا معتز إلى الاستاذ العقاد من الرجوع دائماً إلى اليونان فقد أودا أنه أن ترجع إليهم دائماً كل ما لوردنا تاريخ مظهر من مظاهر الحياة العقلية أو الفنية أو الأدبية .

وهنا أريد أن أعاتب الاستاذ العقاد عتاباً رفيقاً . فقد زعم الاستاذ أن «سانت بوف» لا يشهد لمذهبي في نقد اللاتينين ، وإنما يشهد لمذهب الاستاذ لأن «ماقي» «سانت بوف» من مزاييراجع إلى تأثره بالثقافة السكوية والعم السكوي . ذلك أن «سانت بوف» من أصل إنجليزي وأنه كان يؤثر الشعر الإنجليزي على الشعر الفرنسي في بعض الفصول التي كتبها عن الإنجليز ، وفي بعض رسائله الخاصة .

أما أن «سانت بوف» كان يؤثر الشعر الإنجليزي على الشعر الفرنسي فذلك شيء مشكوك فيه جداً لأن «سانت بوف» لم يكن يؤثر شيئاً أو قل كان يؤثر كل شيء . أو قل أن لودت التحقيق أن أخص ما يمتاز به هذا الناقد العظيم أنه كان شاكاً صرفاً في الشك بقراليرم شيئاً وسد عنه غشا ويحجز أن يرجع إليه بعدد . ولقد أراد «أميل فليجي» أن يخصص عقلية «سانت بوف» فقال أنه لم يثر من شيء . ولم يقتنع بشيء . ولم يؤثر شيئاً على شيء . حتى حين اعتنق الكاثوليكية في الدين والروماتزم في الأدب . وخدع عن نفسه زعماء الدين حتى هم «لاتيه» أن ينصحوه بالدروما ، وزعماء الروماتزم حتى قن عظيمهم «بكتور هو جوم» .

كان «سانت بوف» إذاً على شيء جديد من شعر أو نثر أو تاريخ فن بهتة المؤمن الثاني في الإيمان حتى إذا اقتنعوا بته عشارفها زهدية وانصرف عنو نغمته فنوا شديداً . ولم يكن هذا أبقى حياته العقلية والأدبية

فحسب . بل كان دأبى حياته العملية والشعرية . قد كلف بالمداهب السياسية كلها وزهد فيها كلها وكلف بالكاثوليكية حتى قن الكاثوليك والبروتستانتية حتى شغف به البروتستانتية وقلعه «فاجيه» أنه لم يكن يستطيع أن يحب امرأة: بينما أو كان يستطيع أن يحب النساء جميعاً . واذن فلا ينبغي أن نجد هنا «سانت يوف» حين يفتي على الشعر الإنجليزي ثناء المصنوع به ، فقلعه لم يكن يفرغ من هذا الثناء حتى انكره . وهو كذلك قد اتى على الشعر الفارسي حين ظهرت ترجمة الشهامة تارة المصنوع به وهو مع ذلك لم يعرف الفارسية ولم تمتص ثقافته حقاً . وهذا الناقد العظيم قد أثر الشعر الإنجليزي ، فعلى الشعر الفرنسي ولم يمدح نفسه ولم يمدح الناس عن رأيه الصحيح في ذلك فن ذا الذي يرغم خلاصاً هذا يكفي لاثبات أن المتقدمين بمزايه للثقافة الإنجليزية ؟ أؤكد للأستاذ أنى لم أعتقد يوماً من الأيام أنه هو مدين حتى يوحى الاربعين وغيره من دواوينه ولا بكتابه عن ابن الرومي ولا بكتابه عن جوت ولا بأبحاثه الكثيرة المتملة لثقافته الإنجليزية النخبة التي يحبا ويدودونها . وانما هو مدين بهذا كله كما يرى «سانت يوف» لشخصه وليته الخاصة التي نشأ فيها وعقله والتي لا تكاد تتجاوز الكتب التي قرأها والمعاني التي فكروا فيها والمسائل التي عرض لدرسها . فحب «سانت يوف» لشعر الإنجليزي أنصح لا يجعله مديناً بأدبه للإنجليز . وأن يقع تأثير الثقافة الإنجليزية في «سانت يوف» من تأثير الثقافة الفرنسية فيه ؟ والذي كتبه سانت يوف عن الإنجليز وعن الأجانب كلهم ليس شيئاً يذكر بالنسبة الى ما كتبه عن الفرنسيين في كتبه الضخمة المدهشة في هذه المجلدات الستة عن بورويال وفي هذه المجلدات الثمانية عن الصور ، وفي هذه المجلدات الثلاثة والعشرين التي سماها احاديث لاتينيين ، وفي هذين المجلدين عن شاتوبريان وأصحابه اين يقع ما كتبه «سانت يوف» عن الإنجليز بما كتبه عن الفرنسيين بل بما كتبه عن اليونانيين واللاتينيين ؟ فالأستاذ العقاد يعلم بالطبع أن «سانت يوف» عين أستاذاً للادب اللاتيني في الكوليج دفرانس ، ولما منعه الطلاب من المقادير من عرجيل لأنه كان يؤيد سياسة الامبراطورية الثانية طبع المدرس التي لم يستطع القاءها فكان منها كتاب قيم عن صاحب الاياد . وقد كتب «سانت يوف» عن كثير من شعراء اليونانيين وعن الاسكتلنديين منهم خاصة . فبالأستاذ العقاد يرى تأثير «سانت يوف» في نقده بالثقافة الإنجليزية ولا يرى تأثيره بالثقافة اللاتينية واليونانية لأنه أحب شعراء اللاتين واليونان وبالثقافة الإيطالية لأنه كتب عن شعراء إيطاليا في عصر النهضة ، وبالثقافة الألمانية لأنه كتب عن جماعة من الألمان وعن جوت ؟

أما أن أم الناقد العظيم كانت من أصل إنجليزي فالأستاذ يبالغ في

نتيجته ، فقد كانت أم «سانت يوف» نصف إنجليزية كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، وذلك ان أباهما كان محارراً فرنسياً وإن أمها كانت إنجليزية . فإذا كان الأستاذ العقاد يرى أن هذا يكفي ليكون «سانت يوف» مديناً بمدحه في النقد للإنجليزية فليسمح لي بالألا أذهب معه في هذه الطريق لأنها طريق شديدة الالتواء . للورثة أبرهاني تكوين الفرد ولكن من الاسراف أن يذهب في تقدير هذا الأثر مذهب الأستاذ ومن الغريب أن الذين أرادوا أن يدرسوا مذهب «سانت يوف» في النقد لم يحلوا هذا العصر الإنجليزي في تكويره ، لم يلمت «فاجيه» ولا «لنسون» الى أم «سانت يوف» كثيراً . أما من فرأى الأستاذ العقاد فيه عجب ، فهو يرى أنى لم أوفق حين استشهدت به أيضاً لأن عمه عليه الإنجليزية في صوره ولأنه حين شغف بالآداب الإنجليزية فكثرت لها تاريخاً ، ولكن الأستاذ العقاد نفسه تعلم الإنجليزية صغيراً وشغف بها وقرأ كثيراً من الآداب الإنجليزية . والثقافة العربية ضعيفة بالقياس الى الثقافة الإنجليزية . ومع ذلك فأنا لا أطمئن الى الحكم بأن الأستاذ مدين بأدبه للإنجليز . فكيف اذا عرفنا أن الثقافة الفرنسية التي نشأ فيها تين ونغ بفضلها قوية تستطيع أن تثبت للثقافة الإنجليزية ، وأن تين لم ينبغ بتاريخه للآداب الإنجليزية وانما ينبغ بكتب أخرى أجل خطراً من هذا الكتاب ، ينبغ بكتابه عن لافونتين الذي نال به الدكتوراه من السوربون وينبغ بكتابه الضخم الذي أرخ فيه فرنسا الحديثة ، وينبغ بكتابه عن العقل ، وينبغ بكتابه في فلسفة الفن . فهل يظن الأستاذ بعد هذا كله أنى لم أوفق حين اتخذت «سانت يوف» وتبين أعلى مثل للنقد اللاتيني الفرنسي ؟ وما ذنبى أنا اذا كان الله قد أراد أن يكون هذان الرجلان رمزاً للحياة الادبية الفرنسية في القرن الماضي ؟

ولقد يدنا جداً عما كتب عليه من تشخيص الثقافة الفرنسية اللاتينية ، فهو نوع من تتبع النكتة وتأتق الصالوات أم هو نقد بأدق معاني كلمة النقد ؟ لن يضع الأستاذ العقاد أن يحتاط وأن يقول أنه لم يرد النقد الفرنسيين جميعاً ، وانما أراد أكثرهم أو قلهم ، فليس من الحق أن كثره النقد الفرنسيين أو قلهم كما يظن الأستاذ . وانما الحق الذي لا سبيل الى الشك فيه ان السمة الفنية الخاصة هي أظهر ما يتصف به النقد الفرنسي ، ولن من ظلم العلم الحق ان يقال في هذا النقد غير ذلك . وأما بعد هل يسمح لي بكتاب آخرون أرادوا أن يخوضوا معنا في هذا البحث بأن أتحدث اليهم حديثاً قصيراً ولكنه لابد منه . فأما أحد هؤلاء الكتاب فالأستاذ سلامة موسى الذي تفضل

(البقية على صفحة ٤٦)



ضحى الاسلام

الله العلامة أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب ونشرته لجنة التأليف والترجمة
والنشر (٥٠٠) صفحة من القطع الكبير وتقدم له (لقد كتبه حين يده المنيعة)
وتشود الرسالة الى هذا الكتاب بضم ففتحه ككتبا فيه . قال الدكتور :

أراد ناقد من نقاد النخيل أن يثني على قصته واقته ، وملكته عليه
إعجاباً ، وكان صاحب القصة له صديقاً حميماً ، فترقب أن يلام في الناء
عليه ، ولكنه لم يخرج من إهداء هذا الناء الى صديقه في غير تردد
ولا تحفظ . وأعلن في صراحة - أعجبتني - أن من نخلة الأصدقاء
أن تتخذ صداقتهم وسيلة الى جحود ما لهم من حق ، وإخفاء ما لهم
من فضل ، وتجاهلهم هذه الجمالة السلية التي تدفعك الى أن تتردد
وتتحفظ ، وتقدم اليهم ناء بمقتضائنا جاباً ، حتى لا تتم بالاغراق ،
ولا توصف بالمحاباة . وحتى لا يسوء ظن قرائك بنصيحك من
الانصاف ، وحظك من الاستقلال .

رأى ذلك الناقد ، وأنا أرى معه ، أن هذا النحو من معاملة
الأصدقاء خيانة منكورة ، وظلم قبيح . وأنه في الوقت نفسه نوع من
إتهام النفس ، والاسراف في سوء الظن بها . فليس ينبغي للناقد أن
يُصدّر - فيما يرى من رأى - عما يقول الناس فيه أو ما يمكن أن
يقولوا فيه ، وإنما هو مدين لنفسه ولقرائه بما يعتقد أنه الحق
المخلص ، سواء أَرْضَى الناس أم سخطوا ، وسواء أوافق رأيه
هوى القراء ، أم اختلف عنه .

وعلى هذا النحو من الاستعداد عمدت دائماً الى النقد ،
واجتهدت ما استطعت ألا أظلم الصديق لصداقته ، ولا الخصم
لخصومته ، وليس الظلم مقصوداً على أن تنفض من العمل الأدبي
أو العلمي ، أو تنقص من قيمته لأن صاحبه صديق لك ، أو حارب
عليك . بل هناك ظلم أقبح من هذا وأشنع . وهو أن تنفي على من
لا يستحق الناء ، أو تغلو في حمد من لا يستحق الحمد إلا بمقدار ،
وأن تحمد الخصم لأنه خصم ، ولأنك تكره أن يقول الناس بك
خاصمه فتهجر عن انصافه وتحامل عليه .

ولست أريد أن أخون صديقي ، أحمد أمين ، بالاسراف في

الناء عليه ، ولا أن أخونه بالنقض منه والتقصير في ذاته ، و
أريد أن أنسى صداقته ، وأهمل - ولو لحظة قصيرة - ما بيني
وبينه من مودة كلها صفو وإخاء استطعنا أن نجعله فوق ما يتنافس
الناس فيه من المنافع وأغراض الحياة ، إنما أريد أن أنصفه ، وأشم
لقد فكرت وقدوت ، وجهدت نفسي في أن أجد شيئاً من تعيب
في الخطر أصف به هذا الكتاب الذي أقدمه الى القراء فلم
أجد ، ولم أوفق من ذلك الى قليل ولا كثير .

وليس ذنبى أن ، أحمد أمين ، قد قصد الى عمله في جد وأمانة
وصدق ، وقدره غريبة على احتمال المشقة والعناء ، والتجرد من
العواطف الخاصة . والاهواء التي تعبت بالنفوس ، فوفق من
ذلك الى أعظم حظ يستطيع العالم أن يظفر به في هذه الحياة .
نعم ؛ وليس من ذنبى أن ، أحمد أمين ، قد استقصى فأحسن
الاستقصاء ، وقرأ فأجاد القراءة ، وفهم فأيقن الفهم ، واستنبط
فوفق الى الصواب . ليس من ذنبى هذا ولا ذاك ، وليس من ذنبى
أن ، أحمد أمين ، بعد هذا كله ، وبفضل هذا كله ، قد فتح في حرس
الأدب العربي باباً وقف العلناء والأدباء أمامه - طوال هذا
العصر الحديث - يدنون منه ثم يرتدون عنه ، أو يطرقونه فلا
يُفتح لهم ، ووفق هو الى أن يفتح على مصراعيه ، ويظهر الناس
على ما وراءه من حقائق ناصعة ، يتهج لها عقل الباحث والعالم
والأديب ، ليس شيء من هذا ذنبى أنا وإذ لم يكن بد من أن
يلام أحد لأن عالماً مصرياً قد وفق الى هذا الفوز المين ،
أهدى الى اللغة العربية كتاباً لم يُسبق الى مثله ، فليكن هذا العالم
المصري نفسه ، وليعاقب ، أحمد أمين ، لأنه قد ظفر بهذا الفوز .

لقد اختار ، أحمد أمين ، لكتابه عنوانه هذا ، ضحى
الاسلام ، وهو لا يقدر إلا أن الضحى يأتي بعد الفجر ، وأنه
وقد أظهر ، فجر الاسلام ، يجب أن ينفس في ضحاها . أما أنا ،
فكنت أفهم ، منه هذا الفهم ، وأذهب معه هذا المذهب ، ولكني
لم أكاد أبداً معه قراءة الكتاب حتى أخذت أحسن شيئاً لم أريد
أن أحدث به إليه ، مخافة أن يكذب ظني مضيتاً في قراءة الكتاب ،
ولكتا مضيتاً ، ومضيتا حتى أتممتنا هذا الجزء الذي تقدمه الى

القراء . فإذا هذا الشيء الذي كنت أحبه يزداد وضوحاً وجلالاً وقوة . وإذا ظنني بصدق شيئاً فشيئاً حتى يصبح يقيناً ، وإذا أنا مؤمن إيماناً لا يشربه الشك بأن هذا الكتاب الذي أنا سعيد بتقديمه إلى القراء . يُلقي على تاريخ الإسلام في العصر العباسي الأول نوراً رائعاً وضاً . قريباً هو أشبه شيء بنور الضحى .

فإن الكتاب . ضحى الإسلام . لأنه يدرس تاريخ الحياة العقلية للمسلمين في القرن الثاني للهجرة ، وهو . ضحى الإسلام . لأنه قد جلي هذه الحياة وأظهرها للناس كأوضح ما يمكن أن تكون ، وكأجمل وأبهى ما يمكن أن تكون ، ولست أدرى أيهما أهني . هذا الفوز . أحد أمين . لأنه قد جد وألح ومضى في الجد والالحاح ، حتى انتهى إلى هذا التوفيق ، أم الجامعة المصرية لأنها قد اهدت إلى . أحد أمين . وولت إليه ما وكلت من أنواع الدرس وفنون البحث ، ولعل الخير كل الخير في أن أصرف هذه التهمة عن . أحد أمين . وعن الجامعة إلى الذين يقرأون اللغة العربية ، ويفهم أن يؤرخوا آدابها ، وينكشفوا ما اشتملت عليه من الكنوز التي كانت مجهولة إلى الآن ، هؤلاء أحق بالتهمة لأنهم سيبرون منذ اليوم إلى أغراضهم في طريق واضحة سهلة معبدة ، يضرها نور الضحى .

لن تكون حياة المسلمين منذ اليوم ، كما كانت من قبل ، غامضة مضطربة ، يتحدث عنها مؤرخو الآداب بالتقريب لا بالتحقيق ، ويقولون فيها بالظن لا باليقين . ذلك عصر قد انقضى ، وألغى بينه وبين الذين سيؤرخون الآداب ستار صفيق . ألفاء . أحد أمين ، وأصبح الذين يقصدون إلى تاريخ الأدب قادرين منذ اليوم على أن يحققوا ويستيقنوا ، ويسيروا في مجثم على بصيرة وهدى .

ما أكثر ما كنا نصيق صدرنا بهذا الرموز الغامضة التي كان يلجأ إليها مؤرخو الآداب حين كانوا يذكرون تطور الحياة الإسلامية — أيام بني العباس — بفضل الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم . وبفضل اتصال العقل العربي بالعقول الأجنبية ، وبفضل الترجمة والمترجمين ، والتأليف والمؤلفين . كانت هذه الألفاظ كلها رموزاً إلى الآن تدل على أشياء كثيرة ، ولكنها لا تدل على شيء . نُصَوِّرُ أمام الباحثين صوراً مختلطة مضطربة لا تحصى ولا تستقر ، فهي ذاهبة أبدأً جائية أبدأً ، غامضة أبدأً . نسى إليها ، ولا نظفر بها . أو يصرفنا عنها الكسل العقلي ؛ الذي هو آفة حياتنا الأدبية في هذا العصر .

أما الآن فقد خُطت هذه الصور أحسن خط . وجلت أحسن تجلية وأصبحت إذا ذكرنا تطور الأمة العربية أو الأمم الإسلامية في القرن الثاني للهجرة نعرف بل بحس حقيقة هذا التطور ومصدره ، والآماد التي انتهت إليها ، وأصبحت إذا ذكرنا الحياة الاجتماعية للمسلمين في هذا العصر لا نقول كلاماً مبهماً ، وإنما نقول كلاماً يدل على ما يراد به أحسن دلالة وأجلاها ؛ يدل على طبيعة هذه الحياة وما تقوم عليه من اتصال بين الأفراد والجماعات ، على اختلاف الأجاس والبيئات والأمزجة ، يدل على طبيعة الزواج الذي كان يكون بين هؤلاء . الناس فيخطط دماغهم خطأ ، أو قل يمزجها مزجاً . يدل على طبيعة الرق الذي لحا الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم ، وصهرها كلها في مرجل واحد هو الدولة الإسلامية ، فكون منها شخصية جديدة كل الجدة . طريقة كل الطرائف ، هي شخصية الأمة الإسلامية .

نعم ، ويدل على هذه الطبقات التي كان يتألف منها الجسم الاجتماعي ، للأمة الإسلامية ، والتي كانت تنقسم فيما بينها الأعمال الكثيرة المختلفة ، التي يحتاج إليها هذا الجسم لا ليحيا ضحى ، بل ليرفه هذه الحياة وبرقيها ، ويأخذ فيها بأعظم حظ ممكن من الترف المادى والعقل والشعورى جميعاً .

وإذا ذكرنا الثقافة اليونانية . فلن نفهم منها عند اليوم هذا المعنى المهم الذي رمز إليه بالفلسفة أحياناً ، ولكننا سنعرف بالضبط مقدار ما أخذ العرب عن اليونان ، وكيف أخذوه . ومن أين أخذوه ، وكيف أساغوه أولاً ، ثم تملأه بعد ذلك ؟ . وقبل مثل هذا في الثقافة الهندية والفارسية ، أستغفر الله بل خيراً من هذا . قل أكثر جداً من هذا ، فما أعلم أن باحثاً عن تاريخ الأدب العربي وفق إلى تحقيق الصلة بين العرب والهند ، أو بين العرب والفرس إلى مثل ما وفق إليه . أحد أمين .

وهو — بعد هذا كله — أول من بسط هذا في اللغة العربية بسطاً يطمئن إليه الباحث الذي يملك إلى محته طريق الجد والصدق ، لا طريق البحث والتضليل .

وإذا ذكرنا الثقافة المسيحية والثقافة اليهودية ، فلن نفهم منهما منذ اليوم ما كنا نفهمه من قبل ، من أن اتصال المسلمين باليهود والنصارى قد أحدث بين أولئك وهؤلاء . ضروباً من التأثير العقلي العام .

ولكننا سنعرف طبيعة هذا التأثير ومقداره ومصدره ، ثم

نضع أيدينا على مظاهر هذه الحياة الجديدة ، فيما أتج
المسلمون من أدب وعلم وفن .

أستطيع أن أقول إن أحمد أمين حينما اتدب لتأليف هذا
الكتاب قد اتخذ لأمة المحارب ، ووضع أمام عينيه غرضاً
أقسم ليغته ، أو ليعدل عن إظهار الكتاب . وهذا الغرض
هو تخلص الحياة العقلية الإسلامية في القرن الثاني من
الغموض والالهام ، وما زال هذا الغموض والالهام حتى
أجلابها عن مرقفها ، وانزع منها حياة المسلمين العقلية إلى
منتصف القرن الثالث للهجرة . وكان يزورني كل أسبوع ومعه
طائفة جميلة رائحة من الغنائم التي كان يكتسبها في هذه الحرب
الشاقة المتصلة ، فأقاسمه سعادته بالظفر ، واغباطه بالقوز .
ولست أحب أن تقرا أني أعهد في هذا الكلام إلى
ضروب الخجاز والأوان التمثيل لأزين القول وأثمه ، ولكني
أحب أن تستيقن أني إنما أقول الحق خالصاً من كل زينة ،
برئاً من كل تميم . فقد كان تأليف هذا الكتاب حرباً
عنفية طويلة عملة بين المؤلف وبين الغموض والالهام . وكان
المؤلف كلما تقدم خطوة وقت ينظم انتصاره ، ويصوغ
ثمراة هذه الصيغة الجميلة التي سترها في فصول هذا الكتاب
ويتأهب في الوقت نفسه لهجمة أخرى يكسبها موقعة
أخرى ، ويتصبر بها انتصاراً جديداً .

ومع أن المؤلف قد أنفق جهداً قوياً في أن يحثك
مشاركته فيما كان يحتمل من عناء ، ويلقي من مشقة ، ويذوق
من مرارة الصبر والمصايمة ، ومطاوله المسائل المضطلة التي
كانت تعرض له . فأنت واجد أثر هذا كله في فصول الكتاب ،
حين ترى المؤلف يسير في أناة تشبه البطء ، ويعرض عليك
جزئيات ضئيلة ، تشبه أن تكون إغراقاً في التفصيل ، وتقليداً
للجاحظ في حب الاستيراد ، ولكن اثبت لهذا البطء ،
واصبر لهذا التفصيل ، وامض مع الكاتب في رفق وأناة
فترى أن نتيجة هذا الثبات والصبر والرفق أحرم جداً عما
كنت تظن ، وأنفس جداً مما كنت تتظر ، وأن الكاتب لم يتورط
فيها تورطاً ، وإنما قصد إليها قصداً ، وتعمدها تعمداً ، لأنه
لم يكن يستطيع أن يعدل عنها حتى يضحى بالأمانة العلمية ،
والتحقيق الذي يفرغه البحث الحديث فرضاً على العلماء .
ولا تتخف من هذا البطء ، ولا تتفق من هذه المطاوله ،
فلن يمتدحك ملل ، ولن يقل من حدك سأم ، ولن تهيق

بالكتاب لحظة ، فقد عرف الكاتب كيف يهون عليك طول
الطريق إلى غايته ، وكيف يثب أمامك في هذه الطريق من
الزهر ما يستهوي عينك ، وكيف يشر حولك في هذه
الطريق من الأصداة الحلوة ما يثب أذنك . وأنا زعيم بأنك
ستحتاج إلى أن تعيد قراءة بعض الصحف وبعض العصول .
وسترى أن الكاتب على ابطائه وأناته مسرع مسرف في
السرعة بعض الأحيان .

أشهد لقد وفق أحمد أمين . في هذا الكتاب إلى الاجادة
العلية والفنية معاً : استكشف الحياة العقلية الإسلامية
استكشافاً لم يسبق إليه ، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شيء عن
جفاء العلم وجفوته ، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته .
فليتم القراء بفصول هذا الكتاب ، وليتم المؤلف بما
ينعم به الظافر حين ينتهي إلى فوز لا تشوبه شائبة . ولكن
هذه الحياة الجادة الخصة المنتجة - في تواضع ولين جانب -
التي يحياها أحمد أمين . درساً نافعاً . ومثلاً صالحاً للذين
يريدون أن يحيا في مصر حياة العلماء .

طه حسين

المهل الصافي

لأبي المحاسن بن تغري بردي

للاستاذ عبد الله عنان

من آثارنا التاريخية النفيسة كتاب « المهل الصافي » والمستوف
بعد الوافي ، تأليف أبي المحاسن بن تغري بردي المؤرخ المصري
الكبير المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) وهو معجم ضخم للتراجم
يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة ، وتوجد منه نسختان خطيتان
بدار الكتب المصرية . وفيه يترجم المؤلف أعلام الإسلام منذ
أوائل الدولة التركية ويبدأ بالمعز أيك التركي في زوج شجرة الدر
وملك مصر (٦٤٨ - ٦٥٥ هـ) أعني منذ منتصف القرن الثالث عشر
الميلادي إلى منتصف القرن الخامس عشر ، ويفيض بوجه خاص
في سير أعلام مصر والشام من ملوك وساسة وجند وعلماء وأدباء ،
ويترجم أيضاً بعض ملوك النصرانية وأمرائها في هذه العصور ،
مرتباً ذلك كله على حروف المعجم . (قد جعل أبو المحاسن مؤلفه
تكملة أو ذيلاً لمعجم الصفدي الشهير « الوافي » . ولهذا الأثر

المجلدات والصحائف ، وأن يحيلنا في التراجم الى مراجع يعرفها كل مشتغل بالتاريخ المصرى . وكان خيرا لو أن مسيو فييت بذل هذا المجهود في نشر الكتاب نفسه أو جزء منه ، لأن هذا الفهرس الضخم يقع في نحو الخمسمائة صفحة ، أعنى نحو نصف المخطوط الأصيل ، وقد أنفق في إخراجه ما يكفى لإخراج مجلد ضخم على الأقل من المخطوط الأصيل . على أننا نرجو أن تقدم للنشر هذا الأثر المصرى النفيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، إلى جانب كتاب : السلوك في دول الملوك ، الذى تشتغل الآن بطبعه . فسدى بذلك إلى التاريخ المصرى وإلى البحث فيه خدمة جليلة .

لاتينيون وسكوبيون

(بقية المنشور على صفحة ٤٢)

مجلس مجلس القاضى وأصدر بين الثقافتين حكم الوائق المظمن فى أسطر ما أحبا تجاوز العشرة ، ووجد طريقا إلى أن يقارننى هذه الاسطر القليلة بين الانجليز والفرنسيين وبين أناطول قرانس ويرناردشو . وأن يقول ان الفرنسيين قادوا العالم فى القرن الثامن عشر وأن الانجليز يقودون العالم الآن . أظن أن الأستاذ سلامة موسى يوافقنى على أن هذه المسألة أعسر وأعظم خطراً من أن يقضى فيها بحجة قلم وهذا الإيجاز الذى لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يتمنى الالاقسام .

وأما الكتاب الآخر فهو الأستاذ محمد على غريب . فقد كتب الأستاذ فى البلاغ ضللاً أشهد أنه أضحكى وأضحكى ضحكاً به إعجاب كثير . فهو يسخر من العقاد ومضى لانا تتناش فى مسألة كذبه لا تصلح موضوعاً للنقاش ولا تنتهى المناقشة فيها إلى نتيجة عملية . وله كل الحق فى أن ينكر هذه المناقشة لولا أنه يخطئ . حين يطلب إلى كل بحث أو مناقشة أن تكون لدرجة عملية . فتكون المناقشة خيراً فى نفسها وقد يكون من التصور أو التقصير ألا يكتب الناس إلا ليحققوا غرضاً عملياً . وقد يكون احقاق الحق فى نفسه أم غرض يفتى أن يكتب من أجله الكتاب . وقد يكون الأستاذ عطلاً أيضاً حين يزعم أن ليس فى مصر نقد أدبى مصرى ولكنى أنه هو ينفذ الأستاذ العقاد وينقدنى . وقد يكون الأستاذ عطلاً أيضاً حين يزعم أننا نجادل فى الأدب الاجنبى ولا نتج شيئاً ، فانا أظن أن الأستاذ العقاد قد أنتج شعراً وقرأ وأظن أن لم أفتق حياق عبثاً . وأنا أحب أن يفتقد الناقدون بل أنا شديد الحرص على هذا النقد وقد أفتق به أحيانا ، ولكنى أحب أيضاً أن ينطق هؤلاء الناقدون نفعنا لهم لقاء حسناً ، لعل أحسن ما تنصح به لهم ألا ينفروا على أنفسهم ولا على الناس .

قيمة تاريخية خاصة ، لأن مؤلفه وهو من أمراء البلاط القاهرى فى القرن التاسع المجرى لم يتأثر فى وضعه بمؤثرات أو أهواء خاصة ، ولا سيما فيما يتعلق بترجمة معاصريه ، حسياً يشير إليه هو فى مقدمته ، إذ يقول إنه وضع كتابه غير مستدعى إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان ، ولا مطالب به من الأصدقاء والاقوان ، ولا لتأليفه وتوصيه من أمير ولا سلطان . والمعنى الذى يقصده المؤلف بهذا الإشارة ظاهر : فقد كانت معظم التراجم فى عصره توضع برضى معين أو تحقيقاً لشهوات الخصومات السياسية والأدبية ، التى جعلت من كتاب القرن التاسع ومؤرخيه أحزانا أدبية متنافرة متخاصمة . ولكن أبا المحاسن يقدم لقارئه سير معاصريه والقرييين من عصره فى صوراً أكثر استقلالاً وحرية فى التقدير والحكم .

هذا الأثر المصرى النفيس ما زال مخطوطاً لم ينشر ، كمعظم آثارنا الأدبية . ولكن المستشرق المعروف الأستاذ (فييت) مدير دار الآثار العربية ، أخرج لنا منذ عهد قريب بالفرنسية مجلداً ضخماً عن محتويات المجلد الصافى ، وسماه بنفس الاسم ، ونشر ضمن مجموعة المجمع العلمى المصرى . وكان ضمن مجلدات ثلاثة من وضعه قدسها أخيراً إلى جلالة الملك . والواقع أن كتاب مسيو فييت هذا لا يمثل كتاب المجلد الصافى ، لا فى كثير ولا قليل من محتوياته ، فهو على رغم كونه يقع فى ٤٨٠ صفحة كبيرة ليس أكثر من فهرس الكتاب الأصيل ، يمهده بمسيو فييت بمقدمة صغيرة يصف فيها الكتاب ومحتوياته ويخصى عند التراجم التى يتضمنها (وعددها ٢٨٢٢ ترجمة) حسب صفات أصحابها من أمراء وقادة رئاسة وتجار وأدباء وعلماء . الخ . ثم يكتب فى كل ترجمة يذكر اسم صاحبها وتاريخ مولده ووفاته ورقم الورقة التى يشغلها من المخطوط الأصيل ؛ ويذكر المراجع الأخرى التى تشير إلى هذه الترجمة . وأخصها كتاب النجوم الزاهرة لنفس المؤلف (أبى المحاسن) وخطط المقرئى ، وابن حجر ، والسخاوى . الخ . ثم يذيل ذلك بفهرس أبجدى عام .

وهذا مجهود له قيمته من الوجهة العلمية بلا ريب . ولكننا نلاحظ أن الفائدة التى تترتب عليه بالنسبة لكتاب المجلد الصافى ليست كبيرة ، فهو كما قد ناقه فهرس أو دليل فقط للبحث فى الكتاب الأصيل . والتراجم التى يتضمنها الكتاب الأصيل مرتبة على حروف المعجم ، ولم يكن غير اعلى الباحثين أن يستخرجوها منه . وليس مما يقدم البحث كثيراً أن يرشدنا مسيو فييت إلى أرقام